

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٨٣٩

الطائفة الكاثوليكية فرقها - وعقائدها - وأثرها على العالم الإسلامي

إعداد:

محمد بن علي بن محمد آل عمر

الدارس بمرحلة الدكتوراه بجامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إشراف فضيلة الشيخ:

أ. د. محمود محمد مزروعة

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

كلية الدعوة وأصول الدين

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم الرباعي: محمد بن علي محمد بن عمر ————— الرقم الجامعي: ٤٦٣٧٤٤٤

كلية (الدعوة وأصول الدين) قسم ————— العِصْرَة تخصص ————— عِصْرَة

المرحلة: (الدكتوراه)

العنوان: المناقشة التكوينية فرقتها وعفاؤها وأثرها على لعالم الاسلامي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٣ / ٣ / ١٤٢٩هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي في صيغتها النهائية الدرجة العلمية المذكورة أعلاه.

والله الموافق،،،،

أعضاء اللجنة

المشرف: الاستاذ الدكتور: محمود بن محمد مزروع

المناقش الداخلي: الاستاذ الدكتور: محمد نيسري هعمر

المناقش الخارجي: الاستاذ الدكتور: علي بن حسن الدلمي

عضو اللجنة المفوض بالتأكد من الأخذ بالتعديلات وإتمامها:

الاسم: الاستاذ الدكتور: محمود بن محمد مزروعم التوقيع: ١٤٢٩ / ١٦ / ٤

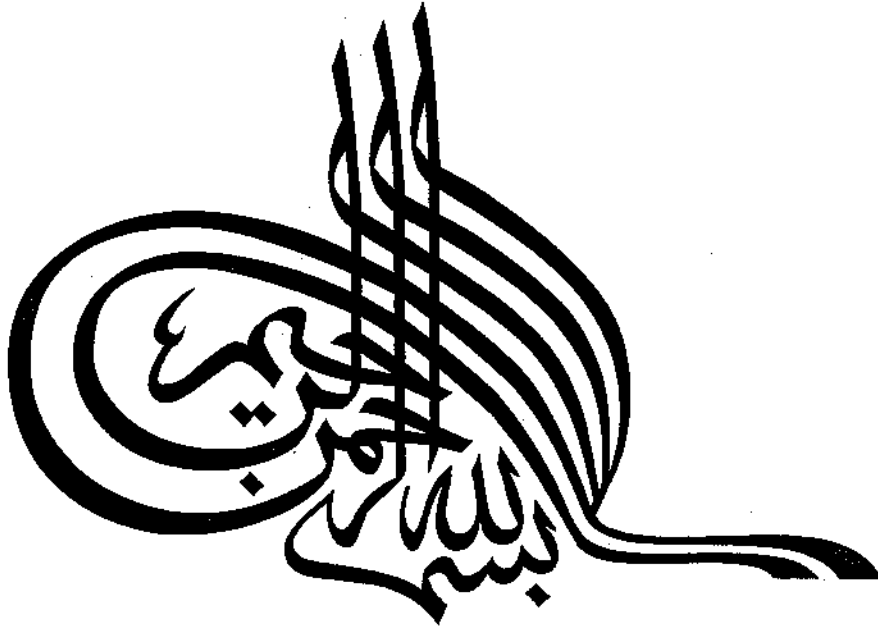
العِصْرَة

رئيس قسم

الاسم: سالم بن محمد القرني

يعتمد

التوقيع:



بسم الله الرحمن الرحيم
ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
أما بعد :

فإن عنوان هذه الرسالة ((الطائفة الكاثوليكية ، فرقها ، وعقائدها ، وأثرها على العالم الإسلامي)) ، وهي - على ما اعتقد - أنها تعالج بعض أجزاء الصراع بين الفرق النصرانية ، والدين الإسلامي .

وقد خصصت هذه الرسالة لدراسة أكبر وأقدم طائفة نصرانية في العالم ، وهي الطائفة الكاثوليكية ، وذلك من خلال البحث ، في :

(١) التعريف بها ، من حيث نشأتها ، وتاريخها ، وأثرها الديني والسياسي على العالم الغربي النصراني منذ القدم .

(٢) فرقها ، وكنائسها المنتشرة في الغرب والشرق .

(٣) ذكر ما استحدثته من عقائد بخيلة على دين النبي الكريم عيسى عليه السلام ، وأن انتسابها إليه ، إنما هو انتساب زور وبهتان .

(٤) الكشف عن محاولاتها في التأثير على العالم الإسلامي ، وبكل ما ملكته من إمكانيات ، وذلك من خلال : (أ) الحروب الصليبية على العالم الإسلامي قديماً وحديثاً ، وتدخل فيها :

لكشوفات الجغرافية البحرية ، وأثرها على العالم الإسلامي ، والعمل على إسقاط الخلافة الإسلامية ، (ب) الغزو الفكري بجناحيه ، الاستشراق ، والتعريب المسلط على الشعوب الإسلامية ، (ج) التنصير ، وإرسالياته الموجهة إلى المسلمين ، واستخدام الوسائل التي أتاحت لهم في ذلك ، ومن أهمها : التعليم ، والإعلام ، والخدمات الطبية ، والمساعدات الإغاثية و

الإنسانية .

وقبل ذلك تكلمت عن النبي الكريم عيسى عليه السلام ، وما جاء به من الحق والدين الصحيح .

وقد توصلت في هذه الرسالة إلى نتائج ، من أهمها :

(١) بطلان ادعاء النصراني - وعلى رأسهم الطائفة الكاثوليكية - انتسابها إلى النبي الكريم عيسى عليه السلام ، وبيان عظم التحريف الذي وقع في دينه الحق .

(٢) كان للكروسي البابوي وكنائسه ومفكريه الدور الأقوى والأبرز في تشويه صورة الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام وتعاليمه وتاريخ المسلمين وسلوكياتهم في عقول ونفوس الشعوب الأوروبية الغربية .

(٣) إن هذا التشويه والخوف والتوجس من الإسلام وأتباعه المسلمين الذي رسخه الفاتيكان في الذهنية الأوروبية ما زال قائماً وماثلاً حتى في أشد أوقات هذه الذهنية علمانية

والحاداً .

(٤) لم تُذكر البابوية وكنائسها الكاثوليكية ومفكريها أي جهد في محاربتها للإسلام والمسلمين أينما حلوا وذهبوا ، ثم تبع الكاثوليك في هذا المنهج الطائفة البروتستانتية .

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

المشرف على الرسالة

اسم الطالب

د. عبد الله بن محمد الرمضان

أ.د. محمود محمد مزروعة

محمد بن علي محمد آل عمر

~~محمد~~

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Summary of the thesis

All the praises and thanks be to Allah, the lord of Almin (mankind, jinn and all that exists), the most gracious , the most merciful.

The title of this thesis is catholic faith, its division, branches, believes and its effect on the Islamic world. It studies the differences, struggles and the misunderstanding between Muslims and Christians.

The studies are concentrate on the most widespread division of Christianity "catholic" through the following:-

- 1- Defining the catholic faith its origin, its history and its effect in the western world politically and religiously.
- 2- Its division , subdivision, branches and churches all over the world.
- 3- Mentioning any changes that imposed on the faith of prophet jesses and whatever modifications that are not from the faith.
- 4- Trying to discover and trace any attempt the Christian world is trying to imposed on the Islamic faith by all methods through:-
 - a) By crusade war different times of history until today from which we mention for example: geographic exploration and the collision to destroy the Islamic states.
 - b) The different styles of introducing the secularism and destroying the whole image of Islam in the souls of young people.
 - c) The Christian missions to the Islamic world to spread out the Christian faith by all means and methods at any times, any place, with any person, even without testing their result. Sometimes they use doctors, journalist, commentators, actors, rich people and specially the field of health care and education.

Before all these I have mentioned the prophet jesses peace be upon him as a messenger of god and what he has brought of peaceful message to the human being to save them of earthly education and to raise them to glorious kingdom of Allah.

Finally, I have reached to the following result:-

- 1- The nonsense of what the Christian people preach and I mean here specially the catholic people moreover the nonsense of their relation to the prophet jesses peace be upon him and I have clarified the great changes and modifications they have placed in the over all message of the prophet jesses peace be upon him.
- 2- Papal chairman ship and other members of the churches have played a great role in trying to reflect a bad image of Islam, quran, Islamic history and prophet Mohammed peace be upon him.
- 3- The misconception, the misunderstanding, fears, and political black mails from Islam and to the Muslims all these are stemming up from the deep rooted anticipation of Islamic expansion in the future even if Christian people know about their strength and weakness of Muslim world.
- 4- Even though the catholic papal chairman ship and churches know about the weakness of Muslims but they still not to save any moment to use their deception and misleading against Muslims. Other division of Christianity which is protestant is following in the same manner but Allah is the guidance to the right path and peace be upon him the prophet Mohammed.

Written by
Mohammed bin Ali
Mohammed Al_omar

Supervisor
Prof. Mahmood
Mohammed Mazroa

Dean of Dawa collage
Dr. Abdullah bin Mohammed
Al-Romyan

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فإن الله ﷻ أرسل نبيه محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وأنزل معه الكتاب ليحكم بالحق بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ملك السموات والأرض . فكان الناس فيه فريقين مؤمن وكافر. فأما المؤمنون فهم فرقة واحدة على سبيل الحق يهتدون بنور الله ويحتكمون إلى شرعه، فطريقهم نور على نور، إلى أن يبلغوا غاية الأمر ونهايته رضوان الله ﷻ وجنته.

وأما الكافرون فهم على سبيل متشعبة متفرقة، يجمعهم الكفر وتفرقهم الطريقة والمنهج، فمنهم الملحد الذي يتعامى عن ربه، ويتخبط في الدنيا على غير هدى من شرع إلهي، ومنهم الوثني الذي ضل عن ربه فعبد ما لا يُعني ولا يسمن من جوع، ومنهم اليهودي الذي أضله الله على علم وختم على قلبه وسمعته وجعل على بصره غشاوة، أعماه الكبر والحسد وتخبطه الشيطان حتى أعرض عن الحق، وتمرغ بالباطل وجابه ربه بكل خُلُقٍ رذيل وطبع مشين، فاستحق غضب الله ولعنته، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

ومنهم النصراني عابد الصليب، اتخذ إلهه هواه حتى عدّ الوثنية ديناً حقاً والشرك توحيداً، وقال في الله قولاً عظيماً، يُظاهي بذلك قول الذين كفروا من قبل وضلوا عن سواء السبيل، وزين له الشيطان سوء عمله فرآه حسناً، فإن الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء وما ربك بظلام للعبيد . والمسلم صاحب دعوة وحق لا يغره كثرة المهالكين ولا قلة السالكين، إذ هو يسير بنور الله ﷻ وهدايته، والمسلم داعية مشفق ناصح، ينصح للخلق رغبة في هدايتهم ونجاتهم، ثم إنه يجب عليه أن يعرف العدو من

الصديق ليستبين له الأمر، وليتوقى ما يجب التوقى منه، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾^١ فلا بد مع معرفة المسلم بالإسلام ومترلته وفضائله
أن يتعرف على الباطل وأهله فيشير إليهم بإصبع التحذير .

ولقد تأثر المسلمون قديماً وحديثاً بنار العداوة والكيد والدسائس التي قام بها أهل
الكتاب -اليهود والنصارى- منفردين ومجتمعين .

وذلك مما دفعني لأن أختار الكتابة عن طائفة من الطوائف النصرانية الكبرى،
بل هي الأم فيها، وهي الطائفة (الكاثوليكية) .

والطائفة الكاثوليكية هي أكبر الطوائف النصرانية، وأكثرها تغلغلاً وقدماً في
التاريخ النصراني، ويدعي متبعوها أنها أم الكنائس ومعلمتهن، بزعم أن مؤسسها
بطرس أحد حوارى النبي عيسى - عليه السلام - وتمثل في عدة كنائس تتبع
كنيسة روما وتعترف بسيادة (بابا روما) عليها، وتسمى بالكنيسة الغربية أو اللاتينية
لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة .

وكانت لهذه الطائفة مواقف أثرت في العالم الإسلامي قديماً ، وحديثاً ، ومنها
أنها أول من سلّت السيوف في وجه الأمة الإسلامية ، وأقامت الحروب، ومعسكرات
التعذيب للمسلمين ، فهي أول من احتلت أراضي المسلمين في الغرب (بلاد الأندلس
العجبية)، واحتلت أيضاً بلاد المسلمين في الشرق (الأراضي المقدسة، فلسطين وما
حولها)، وعملت في أبناء المسلمين هنا وهناك القتل والذبح والتشريد ، وأن بابواتها
وكنائسها عملوا على نشر كره المسلمين والحقد عليهم بين الشعوب الغربية ، والذي
مازال أثره إلى اليوم ، فهي السبب في وضع حواجز نفسية سيئة في نفوس الغربيين
بالنسبة للمسلمين لم يستطيعوا التخلص منها ؛ لذا فإنهم لم يتقبلوا المسلمين إلا بحذر
وتوجس وتقدم الظن السيئ عن الحسن إلى يومنا هذا في بدايات القرن الواحد
والعشرين ، وأن الطائفة الكاثوليكية - أيضاً - هي أول من حاولت العبث بدين
وعقول المسلمين عن طريق الغزو الفكري، وذلك بنشر ثقافات ومعلومات وبحوث

(١) سورة الأنعام الآية ٥٥ .

مزورة ماكرة خادعة ، اتخذ بها بعض أبناء المسلمين ، فتحوّلوا من صف دينهم الإسلامي وثقافتهم الإسلامية إلى صف أولئك النصارى الحاقدين والماكرين، كما أنّ هذه الطائفة جنّدت أموالها ورجالها ونسائها من خلال بعثات وإرساليات وُجّهت إلى بلاد المسلمين في محاولات خبيثة لإخراج أبناء المسلمين من دينهم الإسلامي، وإدخالهم في الدين النصراني . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

* * * * *

أسباب اختياري للموضوع :

أولاً محاولة لكشف عوار الديانة النصرانية وما قام به أحبارها وكهنتها من عبث بمعالها وأصولها، وفي هذا إظهار لبراءة المسيح عيسى عليه السلام مما افتراه عليه النصارى، وفي ذلك تصديقٌ لخير الله ﷻ عنهم، كما أنّ الإيمان بخير الله عنهم يُصبح إيماناً مفصلاً بعد أن كان إيماناً مجملاً .

ثانياً أحببتُ أن أفصّل في عقائد الطائفة الكاثوليكية، فهم الأصل لأكثر نصارى العالم وذلك بذكر تواريخ وأوقات تثبيت تلك العقائد ، حتى يكون طلبة العلم من المسلمين على بينة من ذلك أثناء مناقشتهم، وخوض الجدل معهم؛ لأنّ تتبع تواريخ تلك العقائد تدلّ دلالة واضحة على الدور الخطير الذي لعبته الجامع النصرانية، المسكونية منها، والمحلية، والذي لعبه رجال الكنائس — أيضاً — في العبث بالديانة التي جاء بها عيسى — عليه السلام — وتدلّ على أنّ هذه العقائد والتشريعات ليست وحيّاً من الله أوحاه إلى نبيه الكريم عيسى عليه السلام، وإنّما هي من اختراع وتثبيت الجامع ورجال الكنائس على الشعوب الغربية الأوروبية، وغيرها، التابعة لهم، المغلوبة على أمرها؛ لتزييتها الناقصة والفاشلة في عدم التفريق بين ما هو دين متزلّ من السماء، وما هو وضعيٌّ من صنع البشر . حمى الله الأمة الإسلامية من هذا العبث، وهذا المكر .

ثالثاً في اعتقادي أن هذه الدراسة وأمثالها عامل مهم للمسلم يُسهّل له دعوة أصحاب الديانات المنحرفة بإبراز مواضع الانحراف والفساد في ديانتهم، وإبراز بعض خططهم ومكرهم الخبيث الموجه لأبناء الأمة الإسلامية، وحتى يكون المسلم في يقظة من أمره إذا تعامل مع أولئك الماكرين، خاصة إذا علمنا أن أولئك النصارى لا يبدوون بحملاهم على الأمة الإسلامية إلا بعد دراسة الإسلام وثقافات المسلمين وتوجهاتهم، وتاريخهم، فيتعرّفون عن طريق هذه الدراسات إلى أقصر الطرق، وأكثرها تأثيراً، ونجاعةً فيدخلون من خلالها على أبناء المسلمين، وما الدراسات الاستشراقية، والاهتمام بعلوم المسلمين عند الغربيين، إلا أكبر دليل على ذلك، لذا يجب على دعاة المسلمين، وطلاب علمهم أن يتعرّفوا على عدوهم، من جهة اعتقاداته، وتاريخه، وأساليبه الماكرة، حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى أفضل الطرق في مواجهته، وفي كيفية التعامل معه .

رابعاً وفيها بيان للمسلمين أن منطلقات علاقات الغرب معنا إنما هي منطلقات عقديّة، وفكريّة .

خامساً كما أنّه، والعلم عند الله، أن في مثل هذه الدراسات مساهمة في الدعوة إلى الله تعالى، ورداً لكيد أعداء أمتنا الإسلامية، وكما هو معلوم أنّه لزاماً على كل مسلم أعطاه الله قدرة عقليّة وجسميّة ونفسيّة وماليّة معيّنة أن يدافع عن هذا الدين العظيم ويدعو إليه بكلّ ما يملك من وسائل وطرق، ومن أهم هذه الطرق في الدفاع والدعوة في هذا الزمان اللسان والقلم .

سادساً ثمّ إن مثل هذه الدراسة رغبة ذاتية مني وافقت رغبة بعض مشايخي في هذا القسم المبارك؛ مما زادني شغفاً بكتابة هذا الموضوع لعل الله أن يجعل فيه وفي أمثاله من الدراسات في الأديان نصرة للدين الحق دين الإسلام وبيان لبطلان الديانات الأخرى، آمين .

وقد وفقني الله تعالى في أن أدرس الطائفة الكاثوليكية دراسة تفصيلية، نشأتها،

والكنائس التابعة لها في العالم، وعن عقائدها، وأثرها في العالم الإسلامي، والحمد لله تكوّنت هذه الدراسة بعنوان (**الطائفة الكاثوليكية، فرقها، وعقائدها، وأثرها على العالم الإسلامي**)، والتي أَدْعُو الله أن أنال بها درجة الدكتوراة من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وأريد أن أذكر لمشايخي الكرام وللقرّاء الأفاضل أن الهدف من هذه الدراسة عرض عقائد الطائفة الكاثوليكية، وبيان أثرها على الأمة الإسلامية في مجالات متعددة؛ لذلك لن يجد القارئ الكريم الرد على تلك العقائد، حيث إن مسألة الرد تحتاج إلى مؤلفات ودراسات جامعية مستقلة؛ حتى يكون الرد في المستوى الذي يأمله الباحثون وطلبة العلم والقرّاء، كما أن هناك دراسات جامعية ومؤلفات اختصت بمثل تلك الردود، سيجد القارئ الكريم بعضها بعنوانين صفحتهما في بداية مباحث ذكر العقائد الكبرى للطائفة الكاثوليكية، وسيجد أيضاً أن تلك الردود التي أشرت إليها بأرقام صفحتهما لم تفصل الطوائف النصرانية بعضها عن بعض؛ لأن العقائد الأساسية الكبرى مشتركة في أصولها بين أكبر طوائف النحلة النصرانية، علماً أن كثيراً من الكتب التي ردت على عقائد النصارى لم تحاول إثبات نسبة تلك العقائد لهذه الطائفة النصرانية أو تلك، بواسطة التبع التاريخي في إثباتها، وذكر المقررات الكنسية في ذلك .

وهذا ما حاولت أن أتجنّب في هذا البحث، فعملت على إثبات العقائد الخاصة بالطائفة الكاثوليكية بمحاولة تتبع المراحل التاريخية والمقررات الكنسية في إثباتها؛ حتى يصل القارئ المختص إلى يقين تام أن هذه العقائد قالت بها الطائفة الكاثوليكية، واعتقدتها، كما أني أقصد من ذلك أيضاً بيان أن الباحثين المسلمين يهتمون بنسبة الأقوال والاعتقادات إلى أصحابها، وأنهم لا يتفولون على المخالفين ما لم يقولوه ويعتقدوه .

وأحب أن أوضح — فيما أعتقد — أن ذكر الوجه، والوجهين، بل الثلاثة في الرد على العقائد المخالفة في رسالة متخصصة لنيل درجة علمية غير مجد، ولا يفيد البحث قوة ومكانة، فالرد على العقائد المخالفة يحتاج إلى مشروع علمي، أو مشاريع علمية مستقلة، لها النفس الطويل، والتفصيل الدقيق في الرد والبيان. وتكون أيضاً مستقلة عن البحوث

التي اهتمت بذكر الأثر الواقعي الديني والسياسي وغيرهما، وبيان مقدار العبث الذي عملته تلك الفرق والتحل المخالفة والمنحرفة، والله تعالى أعلى وأعلم .

* * * * *

أما خطة البحث التي سرت عليها فقد تضمنت، بعد المقدمة، التمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة، وهي كالتالي :

التمهيد : الديانة النصرانية من المسيح عيسى — عليه السلام — إلى الإمبراطور قسطنطين الأول .

الباب الأول : الطائفة الكاثوليكية، والبابوية، تعريفاً، وتاريخاً .
وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالطائفة الكاثوليكية، والبابوية .

الفصل الثاني : البابوية عبر التاريخ .

الباب الثاني : أشهر الكنائس والفرق التابعة للطائفة الكاثوليكية .

الباب الثالث : عقائد الطائفة الكاثوليكية .

الباب الرابع : أثر الطائفة الكاثوليكية على العالم الإسلامي .
وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الحروب الصليبية قديماً وحديثاً .

الفصل الثاني : الغزو الفكري .

الفصل الثالث : التنصير .

الخاتمة .

علماً أن قناعتي تامة في أن العقيدة النصرانية بجميع توجهاتها العقديّة أكثر الأديان المحرفة والوضعية تعقيداً، حتى أصبح عسيراً جداً فهم كثير من مبادئها، وحتى أصبح غموضها طبيعة واضحة فيها، وهذا على مستوى من يكتب عنها من أهلها

فما بالك بغيرهم فهذا من باب أولى .

وأن الطائفة الكاثوليكية، فرقها، عقائدها، وأثرها على العالم الإسلامي أوسع من أن يُحيط بها بحث جامعي واحد، فهذا الموضوع يستحق أن تُكتب فيه رسائل جامعية كثيرة، وكتب جادة متعددة، تُناقشه من عدة زوايا، عقديّة، وتاريخيّة، وسلوكيّة، خاصة من باب التعامل والثقة والأخذ والرد مع الآخر ، وهذا ما جعلني في بعض نقاط الموضوع أتوجّس خيفةً من أنني لا أستطيع أن أوفيه حقّه من البحث والدراسة ، ولكن الحمد لله قد انتهيت منه ، وحسبي أنني كنت متوكلاً ومعتمداً على الله تعالى في إتمامه .

هذا وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كنت قد أصبت فمن الله تعالى وحسن توفيقه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأسأله الرشد والسداد والرجوع إلى الحق .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في هذا البحث، وعلى رأسهم الوالد الحبيب، الذي حثني على الكتابة في هذا الموضوع، والصبر عليه، حتى تمامه، وأتقدم بالشكر الجزيل إلى شقيقي ومشرفي على هذا البحث والذي أولاني باهتمامه واستفدت من آرائه وتوجيهاته، وهو فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: محمود بن محمد مزروعة، أمدّ الله في عمره بالصحة والعافية، ووفقه إلى خدمة العلم وأهله، والذي صير عليّ في أمور كثيرة، ومنها اختراقي لأوقاته، وإني أدعوا الله عز وجل أن يغفر ويرحم فضيلة شقيقي، الشيخ (أبو عاصم) موسى بن علي النهاري — رحمه الله تعالى — والذي استفدت منه في حياته من توجيهاته ومتابعته لهذا البحث، فغفر الله له ورحمه رحمةً واسعةً .

كما أنني أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني بتقديم كتاب أو مشورة أو تصويب أو انتقاد أو ملاحظة لغرض الوصول إلى الحق . فجزاهم الله عني جميعاً الأجر والثواب .

والشكر موصول إلى فضيلة الشيخين الأستاذ الدكتور: علي بن حسن الألمي، والأستاذ الدكتور: محمد يسري جعفر؛ على موافقتهما على قراءة هذه الرسالة وتقويمها

على كثرة مشاغلها العلمية من إشرافٍ على بحوث ومناقشات علمية ، وأسأل الله أن يوفقهما لما يحبه ويرضاه ، وأن يوفقني سبحانه أن أخذ تقويمهما وملاحظتهما وما يوجهاني به من توصيات مأخذ العزيمة والتنفيذ المباشر .

كما لا يفوتني أيضاً أن أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين وإلى قسم العقيدة بشكلٍ أخص، وأسأل الله أن يثيب القائمين عليها.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين،

وصلّي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الطالب : محمد بن علي محمد آل عمر

الرقم الجامعي : ٤٢٣٧٠٠٣٤

التمهيد :

الديانة النصرانية من المسيح عيسى — عليه السلام — إلى الإمبراطور

قسطنطين الأول .

وفيه أمران :

الأمر الأول : عيسى — عليه السلام — ودعوته .

الأمر الثاني : من بداية الانحراف إلى ترسيخه ، ودور بولس اليهودي ،

والإمبراطور قسطنطين في هذا الانحراف .

الأمر الأول : عيسى — عليه السلام — ودعوته .

عرض القرآن الكريم قصة عيسى — عليه السلام — ، من لحظة ولادته إلى نهاية

وجوده على الأرض ، وبيان دعوته ، والمعجزات التي اختصه الله تعالى بها ^١ .

وذلك على النحو التالي :

أولاً : بين القرآن الكريم خلق عيسى عليه السلام ، وأنه ولد من أم دون أب ، قال

تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) ﴾ ^٢ .

قال ابن جرير في قوله تعالى { اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } فإنه جل ثناؤه أنبأ

عباده عن نسب عيسى ، وأنه ابن مريم ، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله

جل ثناؤه من النصارى ، من إضافتهم بنوته إلى الله عز وجل ، وما قُذفت أمه به المفتري

^١ (ولقد رُسمت هذه الصورة وبيّنت هذه الحقيقة في ثلاث وثلاثين آية من ثلاث عشرة سورة من سور القرآن الكريم .

^٢ (سورة آل عمران الآيات ٤٥ — ٤٧ .

عليها من اليهود))^١ .

وقال ابن كثير عن مريم : ((قالت في مناجاتها { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ } تقول : كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ، ولا من عزمي أن أتزوج ، ولست بغياً حاشا لله ؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال { كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } أي هكذا أمر الله عظيم لا يُعجزه شيء ، وأكد ذلك بقوله { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } أي فلا يتأخر شيئاً بل يوجد عقب الأمر بلا مهلة كقوله { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } أي إنما نأمر مرة واحدة لا مثوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعاً كلمح بالبصر))^٢ .

ثانياً (أن عيسى — عليه السلام — كلمة من الله تعالى ألقاها إلى مريم وروح منه . قال تعالى { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ }^٣ ، وقال تعالى { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ }^٤ ، وفي الحديث عن عبادة بن الصامت^٥ — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق،

^١ (تفسير الإمام ابن جرير الطبري ، ٣ / ٢٧٠ .

^٢ (تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٢٠ للمحافظ ابن كثير .

وانظر قوله تعالى { وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِغِيًّا قَالَتْ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا } سورة مريم الآيات ١٦ — ٢١ .

^٣ (سورة آل عمران الآية ٤٥ .

^٤ (سورة النساء الآية ١٧١ .

^٥ (عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد أحد النقباء ، صحابي جليل بدرى مشهور ، أرسله عمر ابن الخطاب — رضي الله عنه — إلى الشام ليعلم أهلها ، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين ، توفي بالرملة سنة ٣٤هـ وله ٧٢ سنة رضي الله عنه وأرضاه . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٥٠٥ تحقيق : عادل عبد الجواد ، وجماعة ، وتقريب التهذيب ((٣١٥٧)) تحقيق : محمد عوامة .

والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))^١ .

قال الحافظ ابن كثير: ((...أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمة ألقاها إلى مريم أي خلق بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فتزلت حتى فرجها بممثلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق الله عز وجل ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل))^٢ .

(وروح منه) :-

أي وكائن من مخلوق من الله تعالى كباقي المخلوقات خلقها الله تعالى جميعاً ، فمن للابتداء وليست للتبعيض كما ذهب إلى ذلك النصارى . فروح عيسى — عليه السلام — كباقي الأرواح صادرة من عند الله خلقها الله وليست جزءاً من الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فوصف الله تعالى عيسى — عليه السلام — بأنه منه، أي أنه كائن منه، كما في قوله تعالى ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾^٣ ، أي أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه . فكون ذلك و أوجده، بقدرته و حكمته، فعيسى — عليه السلام — من خلق الله تعالى، وليست ((من)) للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتالية بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، فعيسى مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله ﴿ هذه ناقة الله ﴾^٤ ، وفي قوله ﴿ وطهر بيبي للطائفين ﴾^٥ .

^١ (الحديث أخرجه البخاري ٣٤٢/٦ في كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى (لا تغلوا في دينكم) ، ومسلم رقم ٢٨ في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، وأحمد في المسند ٣١٣/٥ .

^٢ (تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٥٢٦ / ١ .

^٣ (سورة الحاثية الآية ١٢ .

^٤ (سورة الشمس الآية ١٣ .

^٥ (سورة الحج الآية ٢٦ .

كما أن عيسى — عليه السلام — لم يختص أنه (روح من الله) فقد أطلقت هذه الكلمة على غيره فأطلقت على آدم ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾^١ وسمي جبريل روحاً من الله فقال تعالى ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾^٢ وقد سمي القرآن الكريم معونة الله تعالى، وتأنيده، ونصره للمؤمنين، بالروح منه،

= وانظر في ذلك إلى : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٧٥/٦٥ للحافظ ابن حجر ، تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ١ / ٥٢٧ .

وبالنسبة لمسألة المضافات إلى الله تعالى : فهي نوعان ، (١) إضافة مُلْك ، (٢) إضافة وصف .

(أ) إضافة ملك ، هي : كل ما يُضَاف إلى الله ويكون عيناً قائمة بنفسها ، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه ، ومن أمثلتها : قوله تعالى ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ، سورة الشمس الآية ١٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ، سورة الحج الآية ٢٦ ، وقوله تعالى ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ، سورة مريم الآيات ١٧ — ١٩ ، فالروح هنا جبريل عليه السلام ، وإضافة الناقة والبيت وجبريل عليه السلام إلى الله هنا من إضافة الملك والتشريف لأنهما عين قائمة بنفسها . فالمضاف إن كان شيئاً قائماً بنفسه أو حالاً في ذلك القائم بنفسه ، فهذا لا يكون صفة الله ، لأن الصفة قائمة بالموصوف . فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها ، وصفاتها القائمة بما تمتنع أن تكون صفات الله ، وإنما هي مخلوقة مملوكة لله .

وقد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به ، فيسمى المعلوم علماً ، والمقدور قدرة ، والمأمور أمراً ، والمخلوق بالكلمة كلمة ، فيكون ذلك مخلوقاً ، ومن أمثلة ذلك : ﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه ﴾ سورة النحل الآية ١ ، والمراد بالأمر هنا المخلوق المُكوّن بالأمر ، وقوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ يُشْرِكْ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ سورة آل عمران الآية ٤٥ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ سورة النساء الآية ١٧١ ، فإذا قيل المسيح ((كلمة الله)) فمعناه المخلوق بالكلمة ، إذ المسيح نفسه ليس كلاماً .

(ب) أما إضافة الوصف إلى الله ، مثل علم الله ، وقدرة الله ، سواء كان إضافة إسمية مثل استخبرك بعلمك ، أو بصيغة الفعل مثل ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ سورة البقرة الآية ١٨٧ ، أو الخبر الذي هو جملة إسمية ، مثل ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٢ ، فهي قائمة بالله تعالى ، قلبية ، غير مخلوقة . انظر : الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ، ص ٢٣ — ٢٨ ، د. محمد بن خليفة التميمي ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ١٢٠٢ / ٣ — ١٢٠٣ . د. عبد الرحمن بن صالح الحمود ، مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥١ — ١٥٢ ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، القول المفيد على كتاب التوحيد ١ / ٧٠ — ٧١ ، للعلامة محمد بن صالح العثيمين .

^١ (سورة الحجر الآية ٢٩ .

^٢ (سورة مريم الآية ١٧ .

قال تعالى ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾^١.

ثالثاً : أنه رسول من رسل الله إلى بني إسرائيل خاصة ، جاء ليدعو إلى توحيد الله عز وجل وحده لا شريك له .

والآيات في ذلك كثيرة ، ومنها :

قال تعالى ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴾^٢ ، وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^٣ ، وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبِّي إِنْ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^٤ .

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾^٥ .

رابعاً: وكان عيسى — عليه السلام — مؤيداً من الله تعالى بالمعجزات ، وهي :

١- الكلام في المهد ، ٢- إبراء الأكمة ، ٣- إبراء الأبرص ، ٤- إحياء الموتى — بإذن الله — ، ٥- نزول المائدة من السماء ، ٦- تصوير الطين بمية الطير ، والنفخ فيه فيُصبح حياً — بإذن الله تعالى — ، ٧- الإخبار ببعض المغيبات.

وكل هذه المعجزات هي بأمر الله تعالى وإذنه .

والآيات التي ذكرت المعجزات لم تغفل هذه الناحية ، حيث بينت أن هذه المعجزات

^١ (سورة المجادلة الآية ٢٢ .

^٢ (سورة المائدة الآية ٧٥ .

^٣ (سورة الصف الآية ٦ .

^٤ (سورة الزخرف الآيات ٦٣ ، ٦٤ .

^٥ (سورة المائدة الآيات ١١٦ ، ١١٧ .

هي لإثبات نبوة عيسى — عليه السلام — ، وأنه رسول من عند الله تعالى ، وأن كل المعجزات التي جاء بها إنما تجري على يديه بأمر الله تعالى وتأييده :

قال تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَيِّنُ لَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^١ .

وقال تعالى ﴿ إِذِ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذِ ابْتَدَيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذِ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذِ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَبُيِّرُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذِ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذِ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^٢ .

وقال تعالى ﴿ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾^٣

خامساً : وفي نهاية دعوة المسيح عيسى — عليه السلام — في الفترة الأولى له على الأرض^٤ ، رفعه الله إليه ، كما ذكر القرآن الكريم :

قال تعالى ﴿ إِذِ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَإِذِ ابْتَدَيْتُكَ مِنَ الطِّينِ فَسُفِّهُنَّ بِإِذْنِي فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَبُيِّرُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذِ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذِ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾^٥ .

^١ سورة آل عمران الآية ٤٩ .

^٢ سورة المائدة الآية ١١٠ .

^٣ سورة المائدة الآيتان ، ١١٤ ، ١١٥ .

^٤ أما الفترة الثانية لعيسى عليه السلام على الأرض ، فجاء ذكرها أيضاً في القرآن والسنة ، قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء الآية ١٥٩ ، وروى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبوهريرة : وقرأوا إن شئتم [وإن من أهل الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا])) ، البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٢ / ٤٩٠ ، ٣٤٤) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ١ / ١٣٥ ، ٢٤٢ ، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي .

^٥ سورة آل عمران ، الآية ٥٥ .

وقال تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^١

وثبَّين هاتان الآيتان أن عيسى — عليه السلام — لم يُصلب ولم يُقتل، بل ولم يصب بأيّ أذى، فإن الله عز وجل قد أحاطه برعايته وعنايته، ورفعته إليه، تكريماً وحميةً، لتخليصه من أيدي الماكرين، وأنّ هناك إنساناً آخر، غير عيسى — عليه السلام —، قد وقع عليه شبه — عيسى عليه السلام —، فصلب بدلاً عنه .

ثم إن الناظر لإنجيل ((برنابا))^٢ يجد أنّه قد وافق هذه الآيات القرآنية، فقد جاء فيه أنّه لما ((دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جمع غفير، فلذلك انساب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوديل سفراءه، أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في

(١) سورة النساء الآيتان ١٥٧، ١٥٨ .

(٢) برنابا: على أرجح الأقوال أنّه أحد تلاميذ المسيح عيسى عليه السلام، كما صرح بذلك في إنجيله . واسمه ((يوسف بن لاوي بن إبراهيم))، من اليهود اللاويين من أبناء قيرص . وكان من أسرة غنية، وبعد إيمانه بعيسى عليه السلام تنازل عن جميع ممتلكاته، وبدأ يتبع المسيح عيسى في حله وترحاله حتى لقبه الحواريون ((برنابا)) وهي كلمة آرامية معناها ((ابن الواعظ)) .

جاء في أعمال الرسل ٤ : ٣٦ — ٣٧ : ((وَمِنْ هَؤُلَاءِ يُوسُفُ، الَّذِي دَعَاهُ الرَّسُلُ بَرْنَابَا أَيُّ ابْنِ التَّشْجِيعِ، وَهُوَ مِنْ سِبْطِ لَأَوِي، وَيَحْمِلُ الْجَنْسِيَّةَ الْقُبْرُصِيَّةَ. فَإِنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ حَقْلًا، فَبَاعَهُ وَجَاءَ بِثَمَنِهِ وَوَضَعَهُ عِنْدَ أَقْدَامِ الرَّسُلِ)) .
وبرنابا هو الذي عرف التلاميذ بإيمان بولس بعد أن كانوا يخافونه لاضطهاده تلاميذ عيسى عليه السلام، كما جاء في أعمال الرسل (٩ / ٢٦)، فلازمه في دعوته إلى النصرانية، إلى أن عرف افتراءه على الله تعالى وعلى رسوله عيسى ففارقه، وبقي برنابا على حذر من بولس ودعوته الإلحادية، وقد افتتح إنجيله بالرد على افتراءات بولس حيث يقول : ((أَيُّهَا الْأَعْرَاءُ، إِنَّ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْعَجِيبَ قَدْ افْتَقَدْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ بَنِيَّةَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ لِلتَّعْلِيمِ وَالْآيَاتِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الشَّيْطَانُ ذُرِيَّةً لِتَضْلِيلِ كَثِيرِينَ بِدَعْوَى التَّقْوَى، مَبْشَرِينَ بِتَعْلِيمٍ شَدِيدٍ الْكُفْرَ، دَاعِينَ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَرَافِضِينَ الْخِتَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ اللَّهُ دَائِمًا، مَجُوزِينَ كُلَّ لَحْمِ نَجَسٍ، الَّذِينَ ضَلُّوا فِي عُدَاهُمُ أَيْضًا بُولَسَ الَّذِي لَا أَتَكَلَّمُ عَنْهُ إِلَّا مَعَ الْأَسَى))، كان من الرافضين لقرارات مجمع أورشليم المنحرفة في مسألة دخول الوثنيين إلى النصرانية، وإلغاء الختان، وجواز أكل اللحم النجس، قُتل في بلده قيرص على أيدي اليهود . انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية، ص ٤٠٥ — ٤٠٧، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي .

السماة الثالثة ، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد .
 ودخل يهوذا بعنف الغرفة التي أضعدها منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياماً ، فأتى
 الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق، وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع، حتى
 إننا اعتقدنا أنه يسوع ، أمّا هو فبعد أن أيقظنا ، أخذ يفتش أين كان المعلم ، لذلك
 تعجبنا ، وأجبنا: أنت يا سيد ، هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ أمّا هو فقال مبتسماً : هل أنتم
 أغبياء ، حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا
 أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه))^١ .

^١ انظر إلى النص في كتاب : الحوار الإسلامي — المسيحي ص ٨٣ - ٨٤ ، بسام داود دعجك.

الأمر الثاني : من بداية الانحراف إلى ترسيخه ، ودور بولس اليهودي ،
والإمبراطور قسطنطين في هذا الانحراف .

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الدعوة إلى النصرانية ، وبداية الانحراف .

القسم الثاني : الاضطهاد الروماني .

القسم الثالث : العصر الذهبي للنصارى ، وترسيخ الانحراف في دينهم .

القسم الأول : الدعوة إلى النصرانية^١ ، وبداية الانحراف .

يقول الأب جان كمي : ((ابتدأت حياة الكنيسة في أورشليم حوالي السنة الثلاثين يوم
العنصرة^٢ اثنا عشر رجلاً يحملون البشرى لمواطنيهم))^٣ .

((نمت الجماعة المسيحية في أورشليم نمواً سريعاً ، وانضم تحت لوائها يهود ممن
عاشوا في الشتات ، ومن مواطني الجليل واليهودية ، بل بعض الكهنة العبرانيين . ومن أول
الأمر ، اطلقوا لقب ((كنيسة)) على جماعتهم ، وقد استنبطوا هذه التسمية من الترجمة
السبعينية للعهد القديم ، حيث استعملت اللفظة للدلالة على شعب إسرائيل كله كجماعة
مدعوة من الله))^٤ .

يقوم الأنبا ديوسقورس : ((بعد أن صعد السيد المسيح إلى السماء ، لم يترك خليقته
التي أتى ليفديها ، بدون رعاية ، بل اختار اثنا عشر تلميذاً ، وسبعين رسولاً وقال لهم

^١ (ويسمى مؤرخو الكنيسة مرحلة الدعوة إلى النصرانية (المسيحية) بالعصر الرسولي وعندهم أيضاً هي (بدايات
التبشير) . انظر : تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ، ص ٣٢ ، حبيب سعيد ، يا أهل الكتاب تعلوا إلى كلمة سواء ،
ص ١٠٣ ، رؤوف شلي ، تاريخ العالم ٢١٦/٤ ، نشره : جون . ا . هامرتن .

^٢ (يوم العنصرة : هو اليوم الذي اجتمع فيه الخواريون بقيادة بطرس في أورشليم بعد رفع عيسى عليه السلام
حوالي السنة الثلاثين الميلادية مع حجاج من اليهود لمناسبة العيد ، فقام فيهم بطرس خطيباً كما جاء في أعمال
الرسل (٢٢/٢) ، وقيل أنه في ذلك اليوم دخل في النصرانية من اليهود ثلاثة آلاف نفس ، وفي ذلك اليوم ولدت
الكنيسة . انظر : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٤ ، الأب جان كمي .

^٣ (دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٣ ، بقلم الأب جان كمي .

^٤ (تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) ، ص ٣٦ ، بقلم حبيب سعيد .

((أقيموا في مدينة أورشليم، إلى أن تلبسوا قوة من الأعلى))^١، ((إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم...))^٢ .^٣

ثم بيّن الأسقف ديوسقورس انقسام الرسل الإنجيليين بحسب أشهر مناطق تبشيرهم إلى الفرق الآتية :

الفرقة الأولى : التي عملت في اليهودية وتقومها ، وتتكون من الرسل : بطرس ويعقوب البار ومتياس الذي حل محل يهوذا الأسخريوطي (ولبطرس رسالتان وليعقوب رسالة) .

الفرقة الثانية : التي عملت في آسيا الصغرى وما حولها ، وتتكون من الرسل فيلبس وبرتولوماوس ويوحنا ، ويُنسب إلى الأخير أنجيل وثلاث رسائل وسفر الرؤيا .

الفرقة الثالثة : التي ذهبت إلى إيران والهند ، وتتكون من الرسل يهوذا وسمعان القانوني وتوما (وليهوذا رسالة) .

الفرقة الرابعة : التي ذهبت إلى أقاليم أوروبا المختلفة ، وتتكون من الرسل أندراوس ويعقوب الكبير وبولس ولوقا الإنجيلي (ولبولس أربع عشر رسالة وللوقا أنجيله وسفر أعمال الرسل)^٤ .

الفرقة الخامسة : التي ذهبت إلى مصر وأثيوبيا بإفريقيا ، وتتكون من الإنجيليين متى ومرقس (ولكل منهما أنجيله)^٥ .

^١ (لوقا ٢٤ : ٤٩ .

^٢ (متى ٢٧ : ١٩ - ٢٠ .

^٣ (موجز تاريخ المسيحية ، ص ٤١ ، الأنبا ديوسقورس أسقف المنوفية .

^٤ (ولم يذكر المؤلف الأنبا ديوسقورس - أسقف المنوفية - ، بطرس من ضمن من ذهب إلى أوروبا ، علماً أن كثيراً من الكتب والمراجع النصرانية والتاريخية العامة والكاثوليكية بشكل خاص ذكرت ذهاب بطرس إلى إيطاليا وربما خاصة ، بل وذكرت أنه مات فيها ودفن فيها ، ولعل عدم ذكر المؤلف الأنبا ديوسقورس دخول بطرس إلى أوروبا يرجع إلى التنافس الحاد والمستهجن بين الطائفة الأرثوذكسية المرقسية ، ومقرها في الإسكندرية ، وبين الطائفة الكاثوليكية ومقرها روما بإيطاليا .

^٥ (موجز تاريخ المسيحية ، ص ٤٣ ، للأنبا ديوسقورس - أسقف المنوفية - وأستاذ التاريخ بالاكليزيكية . وأنظر في انتشار الدعوة النصرانية ، وخروجها عن دائرة بني إسرائيل في فلسطين ، إلى مجمل كتاب : تاريخ الكنيسة الجزء الثاني ، جون لوريمر .

وكانت هذه الخطوة وهي الخروج بدعوة النصرانية إلى خارج أراضي بني إسرائيل إلى خارج تخومهم هي بدايات الانحراف في الديانة النصرانية، حيث أن عيسى عليه السلام اقتصر في دعوته على بني إسرائيل دون غيرهم من الأمم والشعوب .

والمتبع للأناجيل يجد ذلك بوضوح — وهو قصر دعوة عيسى عليه السلام على بني إسرائيل — ومن البداية في ذلك أن البشارة بمجيئه قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط ، ومن الأدلة في ذلك من كتبهم المقدسة :

((وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَّفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ إِذَا مَلَكَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لِأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنْ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» ، ((وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُودَا لَسْتَ الصُّعْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودَا لِأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرَعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ»^١ ، وفي هذا إشارة واضحة أن دعوة المسيح ستكون لشعب اليهود فقط .

ثم إن المسيح — عليه السلام — عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية أن يقصروا الدعوة على اليهود، بل وحذّهم من دخول مدن الأمم الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود، جاء في إنجيل متى : ((هُوَ لَأَنَّ الْإِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَّمٍ لَا تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةِ السَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.))^٢ ، ((وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَا تُكْمَلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ))^٣ ، وقال للمرأة الكنعانية: «لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ»^٤ .

^١ متى ١: ٢٠-٢١

^٢ متى ٢: ٦

^٣ متى ١٠: ٥-٦

^٤ متى ١٠: ٢٣

^٥ متى ١٥: ٢٤-٢٦

وكان اختياره — عليه السلام — لتلاميذه من بين اليهود أنفسهم ، جاء في إنجيل متى في محاوره بين المسيح وبين أحد تلاميذه ، وهو بطرس ، ((فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ: «هَذَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِيَّاكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي فِي التَّجْدِيدِ مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ جَلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ))^١ ، فالمسيح يقول لهم إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط ، ولم يقل لهم أنهم يدينون شعوب العالم ، وهذه كناية أو إشارة إلى أن رسالته ، وهم من بعده ، قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من الأسباط الاثني عشر .

وكان معروفاً — عليه السلام — عند الناس أنه نبي اليهود وبني إسرائيل ، وذلك كما جاء في قصة المجوس التي ذكرها متى في إنجيله أنهم عندما سألوا عنه : ((وَكَمَا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟»))^٢ ، وكذلك عندما عذب الرومان ، ومن معهم من اليهود ، الرجل الذي اعتقدوا أنه ، هو عيسى عليه السلام : ((وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَحْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»))^٣ ، حتى إنهم كتبوا على المصلوب الذي ظنوه يسوع: ((وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلْتَهُ مَكْتُوبَةً: «هَذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ»))^٤ ، وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكُتَّابَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلِّصْ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا». إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ))^٥ أما نص النصراني الذي اعتمدوا عليه في أن دعوة عيسى — عليه السلام — إلى الناس كافة ، وهو : ((فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ

^١ متى ١٩: ٢٧-٢٨

^٢ متى ٢: ١

^٣ متى ٢٧: ٢٩

^٤ متى ٢٧: ٣٧

^٥ متى ٢٧: ٤١-٤٢

وَعَلَى الْأَرْضِ فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمَدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ))^١، فهو يناقض كل النصوص المذكورة سابقاً، والتي تثبت أنه كان في حياته يعمل على خلاص اليهود فقط دون غيرهم من البشرية.

يقول عبد الأحد داود - الأب ومطران بلدة نصيبين من أعمال العراق في القرن الماضي - سابقاً قبل إسلامه - في كتابه (الإنجيل والصليب) : ((فمن هنا تبين جلياً أن الآيات الأخرى المضادة لهذه الآيات إما محرفة أو زائفة . فإذا كان المسيح ينهى تلاميذه من الذهاب حتى إلى جارهم أمة السامريين الممتزج دمهم بدم اليهود، والذين يصدقون أسفار توراة موسى، فكيف وبأي جسارة يسوغ لمتي مع وجود هذه الآيات والنصوص أن يقول في إنجيله عن لسان المسيح : ((اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس))^٢.

((ولقد أقر كُتَّابُ النصارى في العصر الحاضر أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يقولوا بعالمية النصرانية، وأن بولس هو أول من ابتدع القول بتلك العالمية، وأفاض في شرحها في رسائله، والمطلع على تلك الرسائل يتضح له أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى المسيح تشير إلى عالمية النصرانية، إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره دون أن يبرهن على دعواه بأي دليل، لذلك نرى أحد كُتَّابهم يقول : ((إن المسيح كان نبياً لمعاصريه من اليهود، ولم يُحاول أن يُنشئ فرعاً خاصاً به من بين هؤلاء المعاصرين أو يُنشئ له كنيسة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم)) كما جاء في دائرة المعارف البريطانية ((أن أسبق حوارتي المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل النصرانية ديناً لليهود، وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل))^٣

ومن بدايات الانحراف ما حصل بين عامي (٥١-٥٥ م) حيث انعقد أول مجمع

^١ متى ٢٨ : ١٨-١٩

^٢ (الإنجيل والصليب ، ص ٧١ ، ٧٢ ، عبد الواحد داود .

^٣ (الميزان في مقارنة الأديان ، ص ٢٨٩ ، المستشار محمد عزت الطهطاوي .

لأتباع عيسى — عليه السلام — ، وعلى رأسهم تلامذته في أورشليم (القدس)^١ ، وكان ممن حضر هذا المجمع بطرس وبولس ، وناقشوا فيه وضع المسيحيين الجدد الذين هم من أصول وثنية ، هل يُلزموا بشريعة التوراة والتي جاء عيسى — عليه السلام — ليتمها لا لينقضها فجاء في إنجيل متى قول المسيح عيسى — عليه السلام — : ((لا تظنوا أي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء وما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل))^٢ ، أم أن لهم وضعية مختلفة تناسب وضعيتهم القديمة في وثنتهم وهذا الذي أيده بولس ، ((كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع))^٣ .

ووصل هذا المجمع إلى أن نسخ كل الأحكام العملية في شريعة التوراة ، ولم يبقوا إلا على حرمة أربعة أشياء وهي : ما ذبح للأصنام، وعن الدم، وأكل المنخقة، والزنى، وألغوا فيه الختان وباقي الشرائع .

ثم أرسل المجمع كتاباً بهذا إلى سائر الكنائس للعمل بمقتضاه ، وقد دون أعمال هذا المجمع وما حصل فيه من أحداث (أعمال الرسل) فجاء فيه : ((... أجاب يعقوب قائلاً أيها الرجال الإخوة أسمعوني... أنا أرى أن لا يُثقل على الراجعين إلى الله من الأمم . بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم))^٤ ، وذكر سفر أعمال الرسل ما حصل في هذه المجمع وأهم أرسلوا بنتائجه إلى الكنائس الأخرى^٥ .

^١ دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ٢٧ ، بقلم الأب جان كمي ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٩٨ ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١ / ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص ٣١٥ ، د. محمد ضياء الأعظمي ، محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٤٣ ، التوحيد والتثليث في حوار المسيحية والإسلام ، محمد بن عبد الحميد الحمد ص ٩٣ ، الروم وصلاحهم بالعرب ١ / ٥٢٩ . أسد رستم

^٢ متى ٥ : ١٧-١٨

^٣ أنظر نشرة الفاتيكان سنة ١٩٦٨م بعنوان : ((المسيحية عقيدة وعملاً)) ص ٥٠ ، نقلاً عن : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ص ١٥٨ باعتناء الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض

^٤ أعمال الرسل ١٥ : ١٣ ، ١٩-٢٠ .

^٥ أعمال الرسل ١٥ : ٢٢-٢٩ : ((عِنْدَ ذَلِكَ أَجْمَعَ الرَّسُلُ وَالشُّبُوحُ وَالْجَمَاعَةُ كُلُّهَا عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ مِنَ الْإِخْوَةِ يُرْسِلُونَهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَّةٍ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا . فَاخْتَارُوا يَهُوذَا ، الْمُقَلَّبَ بَرَسَابَا ، وَسِيلاً ، وَكَانَ لَهُمَا مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ بَيْنَ الْإِخْوَةِ =

ويلاحظ من ذكر أعمال الرسل للمجمع في أورشليم أنه ذكر إلغاء الختان صراحة ولم يتقيد بما لشرية الختان من أهمية في شرائع التوراة ، فقد كان حكم الختان أبدياً في شريعة إبراهيم عليه السلام ، جاء في سفر التكوين : ((وَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: «أَمَا أَنتَ فَاحْفَظْ عَهْدِي، أَنتَ وَذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ مَدَى أَجْيَالِهِمْ. هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ تَخْتَنُونَ رَأْسَ قُلْفَةِ غُرْلَتِكُمْ فَتَكُونُ عَلَامَةَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ تَخْتَنُونَ عَلَى مَدَى أَجْيَالِكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِيكُمْ ابْنِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ كَانَ الْمَوْلُودُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ أَمْ كَانَ ابْنًا لِعَرِيبٍ مُشْتَرَى بِمَالِكَ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. فَعَلَى كُلِّ وَلِيدٍ سِوَاءِ وُلِدَ فِي بَيْتِكَ أَمْ اشْتَرِيَ بِمَالٍ أَنْ يُخْتَنَ، فَيَكُونَ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. أَمَا الذُّكْرُ الْأَغْلَفُ الَّذِي لَمْ يُخْتَنَ، يُسْتَأْصَلُ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ لِأَنَّهُ نَكَثَ عَهْدِي))^١ .

وقد بقي هذا الحكم في أولاد إسماعيل وأولاد إسحاق — عليهما السلام — فقد جاء في سفر اللاويين : ((وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا حَمَلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَظَلُّ الْأُمُّ فِي حَالَةِ نَحَاسَةٍ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، كَمَا فِي أَيَّامِ فِتْرَةِ الْحَيْضِ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْرَى خِتَانُ الطِّفْلِ))^٢ . واختتن عيسى عليه السلام ، كما جاء في إنجيل لوقا : ((وَكَمَا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيُخْتَنَ الطِّفْلُ، سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا كَانَ قَدْ سُمِّيَ بِلِسَانِ الْمَلَائِكَةِ قَبْلَ أَنْ يُحْبَلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ))^٣ .

ولكن هذا المجمع في أورشليم وبفعل نشاط بولس فيه ألغيت شريعة الختان . ثم أرسل بولس رسالة إلى أهل غلاطية يؤكد هذا الحكم وهو نسخ الختان : ((هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ خُتِنْتُمْ، لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا. وَأَشْهَدُ مَرَّةً أُخْرَى لِكُلِّ مَخْتُونٍ بِأَنَّهُ مُتَمَرِّمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ كُلِّهَا. يَأْمَنُ تَرِيدُونَ التَّبَرِيرَ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ، قَدْ حُرِّمْتُمْ الْمَسِيحَ وَسَقَطْتُمْ مِنْ النِّعْمَةِ! فَإِنَّا، بِالرُّوحِ وَعَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ، نَنْتَظِرُ الرَّجَاءَ الَّذِي يُنْتِجُهُ الْبِرُّ. فَفِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لَا نَنْفَعُ لِلْخِتَانِ

— وَسَلَّمُوهُمْ هَذِهِ الرَّسَالَةَ مِنَ الرَّسُلِ وَالشُّيُوخِ وَالْإِخْوَةِ، إِلَى الْإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ فِي مَقَاطِعَاتِ أَنْطَاكِيَّةِ وَسُورِيَّةِ وَكِلِيكِيَّةِ: سَلَامًا! عَلِمْنَا أَنَّ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ ذَهَبُوا مِنْ عِنْدِنَا إِلَيْكُمْ، دُونَ تَفْوِيضِ مِنَّا فَأَنَارُوا بِكَلَامِهِمُ الْاضْطِرَابَ بَيْنَكُمْ وَأَقْلَقُوا أَفْكَارَكُمْ. فَاجْمَعْنَا بَرَأْيَ وَاحِدٍ عَلَى أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ قَدْ كَرَسَا حَيَاتَهُمَا لِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُرْسِلَهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ أَخَوَيْنَا الْحَبِيبَيْنِ بَرْتَنَابَا وَبُولُسَ. فَأَرْسَلْنَا يَهُودًا وَسِيلاَ، لِيُبَلِّغَاكُمْ الرَّسَالَةَ نَفْسَهَا شَفَاهَا. فَقَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ لَا نُحَمِّلَكُمْ أَيَّ عِبَاءٍ فَوْقَ مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ. إِنَّمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُقَرَّبَةِ لِلْأَصْنَامِ، وَعَنْ تَنَاوُلِ الدَّمِّ وَالْحُمُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَخْتَوِقَةِ، وَعَنْ ارتِكَابِ الزُّنَى. وَنَحْسِنُونَ عَمَلًا إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ. عَافَاكُمْ اللهُ!.

^١ (التكوين ١٧ : ٩-١٤ .

^٢ (اللاويين ١٢ : ٣-١ .

^٣ (لوقا ٢-٢١ .

وَلَا لِعَدَمِ الْخِتَانِ، بَلْ لِلِإِيمَانِ الْعَامِلِ بِالْمَحَبَّةِ))^١ .

ويشرح المفسر النصراني وليم باركلي قول بولس هذا بقوله : ((كان بولس يعتبر أن طريق النعمة وطريق الناموس متعارضان تماماً . والخطأ الأساسي الذي يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس ، هو أن يظن أن ما يفعله سيكسبه الثواب أمام الله ، وطريق الناموس يجعل الخلاص يعتمد على المنجزات البشرية . أما من يختار سبيل النعمة فإنه يلقي بنفسه وخطيئته على رحمة محبة الله . وهنا يُقدّم بولس الرسول وجهة نظرة في تسلسل منطقي فيقول : أنك لو قبلت الختان فهذا يعني أنك تقبل جزءاً من الناموس ، ويتبع ذلك منطقياً أنه يجب عليك أن تقبل الناموس بجملته ... فإن من سلك هذا السبيل فإنه بذلك يكون قد رفض تلقائياً سبيل النعمة ، ويكون المسيح بالنسبة له وكأنه لم يمت أبداً . وكان كل ما يهم بولس هو ذلك الإيمان الحاصل عن طريق المحبة . وهذا يعني بصورة أخرى أن جوهر الدين ليس هو الناموس ، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع ... فإيمان المسيحي لا يتأسس أبداً على كتاب ، ولكن على شخص ، والقوة الدافعة فيه ليست طاعة أيّ ناموس ولكن الحب للمسيح يسوع))^٢ .

ولا شك أن هذا يؤدي إلى نبذ التمسك بالشرعية بأكملها ، فلا التزام ولا تقيّد بالشرعية ما دام الإنسان النصراني يحب يسوع ويؤمن بقدائه له وللبنسرية ، فهذا هو الخلاص الحقيقي عند بولس . وهذا عبث ما بعده عبث بالشرائع المتزلة لتحكم حياة الناس ومن خلالها يصل الإنسان إلى ربه . وهذا ما حصل للنصارى حيث تفلتوا من الشرائع والعبادات ، وحرّفوها وبدّلوها .

علماً بأن عيسى عليه السلام بين أن الخلاص الحقيقي ، هو لمن تمسك بالشرعية وعمل بالوصايا ، فجاء في إنجيل متى : ((وَإِذَا شَابَّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ : «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ،

^١ (رسالة بولس إلى غلاطية ٥ : ٢-٦)

^٢ (تفسير العهد الجديد ، رسالتا غلاطية وأفسس ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، وليم باركلي .

وقد ألفت النصراني ندره اليازجي كتاب أسماء ((رد على اليهودية واليهودية المسيحية)) يؤيد قول بولس هذا وينتقد النصراني الذي يتمسك بالشرعية ويرى أن النصراني الصحيح هو الذي يهيم حباً في يسوع المسيح دون التمسك بأحكام الناموس (الشرعية) .

أَيِّ صَلَاحٍ أَعْمَلُ لِأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ؟» فَأَجَابَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصَّالِحُ. وَلَكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا». فَسَأَلَ: «آيَةٌ وَصَايَا؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ؛ لَا تَزْنِ؛ لَا تَسْرِقْ؛ لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ؛ وَأَحِبَّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ...» قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا عَمَلْتُ بِهَا مِنْذُ صَغُرِي، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي بَعْدُ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا، فَادْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي»^١.

وذكر أيضاً مسألة أهمية التمسك بالشرعية يعقوب في رسالته: ((أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ؟ حَسَنًا تَفْعَلُ! وَالشَّيَاطِينُ أَيْضًا تُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهَا تَرْتَعِدُ خَوْفًا. وَهَذَا يُؤَكِّدُ لَكَ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْعَبِي، أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي لَا تَنْتُجُ عَنْهُ أَعْمَالٌ هُوَ إِيْمَانٌ مَيِّتٌ! لِنَأْخُذْ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ مَثَلًا: كَيْفَ تَبَرَّرَ؟ أَلَيْسَ بِأَعْمَالِهِ، إِذْ أَصْعَدَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ عَلَى الْمَذْبُوحِ فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ إِيْمَانَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ رَافَقَتْهُ الْأَعْمَالُ. فَبِالْأَعْمَالِ قَدْ اكْتَمَلَ الْإِيْمَانُ. وَهَكَذَا، تَمَّ مَا قَالَهُ الْكِتَابُ: «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ، فَحُسِبَ لَهُ ذَلِكَ بَرًّا»، حَتَّى إِنَّهُ دُعِيَ «خَلِيلَ اللَّهِ». فَتَرَوْنَ إِذْنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِإِيْمَانِهِ فَقَطْ، بَلْ بِأَعْمَالِهِ أَيْضًا))^٢.

وحصل كذلك في هذا المجمع — الملغى للعمل بالشرعية — أن أجاز أكل لحم الخنزير، وحثهم في ذلك أن الذين دخول في ديانتهم النصرانية من المتحدِّرين من أصول مختلفة كان يصعب عليهم تناول الطعام مع النصارى من أصل يهودي بسبب القوانين اليهودية المتعلقة بالأطعمة، مثل، أن أكل لحم الخنزير محرم، وكذلك الدم وبعض طرق تهية الطعام، وغيرها^٣.

^١ (متى ١٩: ١٦-٢١)

^٢ (يعقوب ٢: ٢٢) .

^٣ (دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص ٢٧-٢٨، بقلم الأب جان كمي .

ثم قال هذا المؤلف — في ص ٢٨، وبعد ذكره أحداث مجمع أورشليم، مؤيداً لقراراته وتوجهاته: ((هكذا لم يعد الإيمان المسيحي مرتبطاً باليهودية. لم يعد أحداً مجبراً على الانتقال إلى ثقافة أخرى لكي يتبع الإنجيل. فأصبحت الكنيسة فعلاً عالمية)) .

وكان من أسباب جواز أكل لحم الخنزير أن بطرس كبير الخواريين ورد عنه في أعمال الرسل حادثة تدل على تجويزه لأكل كل ما حرَّمته التوراة من الحيوانات ومنها الخنزير: ((وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِي، بَيْنَمَا كَانَ الرَّجَالُ الثَّلَاثَةُ يَقْتَرِبُونَ مِنْ مَدِينَةِ يَافَا، صَعِدَ بَطْرُسُ نَحْوَ الظَّهْرِ إِلَى السَّطْحِ لِيُصَلِّيَ. وَأَحْسَّ جُوعًا شَدِيدًا، فَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ. وَبَيْنَمَا الطَّعَامُ يُعَدُّ لَهُ، وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبُوبَةٌ، فَرَأَى رُؤْيَا: السَّمَاءُ مَفْتُوحَةٌ، وَوِعَاءٌ يُشْبِهُ قِطْعَةً كَبِيرَةً مِنَ القُمَاشِ =

علماً أن تحريم لحم الخنزير مقررًا في الشرائع السماوية — وجاءت قذارة الخنزير حتى في أناجيل النصارى مما يبين مدى التعارض بين نصوصها في أحكام كثيرة ومنها هذه المسألة — .

جاء في القرآن الكريم تحريم الخنزير تحريماً قاطعاً قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^١ ، وقال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾^٢ ، وقال تعالى ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^٣ .

وجاء في التوراة: ((وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لهم : كلّمنا بني إسرائيل قائلين ... إلا هذه فلا تأكلوها ممّا يجتر وممّا يشقُّ الظلف ... والخنزير لأنّه يشقُّ ظلفاً .. فهو

مربوطة بأطرافها الأربعة يتدلى إلى الأرض، وهو مليء بأنواع الحيوانات الدابة على الأرض والوحوش والزواحف وطيور السماء جميعاً. وناداه صوت: «يا بطرس، قم اذبح واكل» ولكن بطرس أجاب: «كلاً يارب، فأنا لم أكل قط شيئاً محرماً أو نجساً». فقال له الصوت أيضاً: «ما طهره الله لا تحسبه أنت نجساً» وتكرّر هذا ثلاث مرّات، ثم ارتفع الوعاء إلى السماء)) ، أعمال الرسل ١٠ : ٩-١٦ .

يقول المفسر النصراني ولیم باركلي : ((... وقد أصبح بطرس يشعر أن المسيحية تمحو هذه المحرمات . وفي الظهيرة صعد بطرس إلى السطح ليصلي . وكان الناس يصعدون لسطح عادة للخلوة . فرأى ملاءة كبيرة أمامه وعليها حيوانات مختلفة وجاءه الصوت ((اذبح وكل)) ، لقد كان لليهود قوانين صارمة للأطعمة المذكورة في (لاويين ١١) ، وعلى العموم لم يكن مسموحاً لليهودي أن يأكل إلا الحيوانات مشقوقة الظلف والتي تجتر ، ولقد صعق بطرس لهذا الأمر وأحتج عليه بأنه لحم يأكل نجساً ولكن الصوت ناداه ((ما طهره الله لا تدنسه أنت)) وحدث هذا ثلاث مرّات حتى أنّه لم يكن هناك أي احتمال للخطأ)) تفسير سفر أعمال الرسل ، ص ١٣٢ .

ثم قال : ((... وفي أيام الكنيسة الأولى كانت من أهم علامات المسيحية أنّها كانت تحطم الحواجز ولا شك أن المسيحية ما زالت تحطم كل الحواجز بين البشر إن أعطيت الفرصة لذلك)) ص ١٣٥ ، المرجع السابق .

^١ (سورة البقرة الآيتان ١٧٢-١٧٣)

^٢ (سورة المائدة الآية ٣)

^٣ (سورة الأنعام الآية ١٤٥)

نجس لكم))^١، وجاء أيضاً: ((لا تأكل رجساً ما ... والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم . فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا))^٢ .

وممّا جاء في أناجيل النصارى في قدارة الخنازير ((لا تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكَالِبِ ، وَلَا تَطْرَحُوا دُرْرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ))^٣ ، وجاء فيها أيضاً: ((قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْعِهِ، وَخَنزِيرَةٌ مُعْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمَاءَةِ))^٤ ، ولكن مجمع أورشليم لم يأبه بهذه النصوص القاطعة في التحريم وحل أكله .

وكانت الطائفة الكبرى التي حلّت بالدين الذي جاء به عيسى عليه السلام ، هو اعتناق ((بولس)) له ودخوله فيه .

((بولس)) ذلك الرجل اليهودي^٥، الذي اشتهر بشدة عدائه لأتباع عيسى عليه السلام^٦، والتي كانت قصة دخوله في دين عيسى عليه السلام قصة مريبة يحوم حولها كثير

^١ سفر اللاويين ١١ : ١-٨

^٢ سفر التثنية ١٤ : ٣-٨

((وقد حسبه الفينيقيون والأنثيون والمصريون نجساً مع أنهم في مصر كانوا يقدمون خنزيراً ذبيحة في العيد السنوي لآله القمر ولأوزوريس باخوس . ومع ذلك فإنه كان يتحتم على من يلمس خنزيراً ولو عرضاً أن يغتسل ولم يكن يسمح لراعي الخنزير أن يدخل الهيكل ولم يكن يتزوج إلا من بنات الرعاة مثله لأنه أحداً لا يرضى أن يزوج ابنته من راعي الخنازير)) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ص ٤٣٤ .

^٣ متى ٧ : ٦ .

^٤ رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢٢

^٥ ((وقد جاء ذلك على لسانه ، بقوله : ((أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ، وُلِدْتُ فِي طَرَسُوسَ الْوَاغَةِ فِي مَقَاطَعَةِ كِيلِيكِيَّةَ، وَلَكِنِّي نَشَأْتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ)) ، أي أورشليم (القدس) ، أعمال الرسل ٢٢ : ٣ ، وهو من اليهود الفريسيين الذين اشتهروا بعدائهم لشخص وتعاليم المسيح عيسى عليه السلام ، يقول بولس عن نفسه : ((وَإِذْ كَانَ بُولُسُ يَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ مِنْ مَذَهَبِ الصَّنُوفِيِّينَ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ مَذَهَبِ الْفَرِيسِيِّينَ، نَادَى فِي الْمَجْلِسِ: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا فَرِيسِيٌّ ابْنُ فَرِيسِيٍّ)) ، أعمال الرسل ٢٣ : ٦ ، ٧ .

^٦ ((ومن النصوص التي تبين كره بولس (شاول) للمسيحيين ، وتعذبه لهم : ((وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفَسَهُ وَقَعَ اضْطِهَادٌ شَدِيدٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ. فَتَشَتَّتَ الْإِخْوَةُ جَمِيعاً فِي نَوَاحِي الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَّا الرَّسُلُ ... أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يُحَاوِلُ إبَادَةَ الْكَنِيسَةِ، فَيَذْهَبُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ وَيَجْرُ الرَّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيَلْقِيهِمْ فِي السَّحْنِ)) أعمال الرسل ٨ : ١ - ٣ ، ((أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَا يَزَالُ يَفُورُ بِالتَّهْدِيدِ وَالْقَتْلِ عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ. فَذَهَبَ إِلَى رَيْسِ الْكَهَنَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى مَجَامِعِ الْيَهُودِ فِي دِمَشْقَ لِتَسْهِيلِ الْقُبْضِ عَلَى أَتْبَاعِ هَذَا-

من الشك ، ويظهر فيها كثير من المكر اليهودي المدروس ، علماً أن في رواياتها الثلاث من التناقض ما يجعل وقوعها أقرب إلى الشك منه إلى اليقين^١ .

=الطريق من الرجال والنساء، حيثما يجدهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم)) ، أعمال الرسل ٩ : ١ - ٢ ، والملاحظ في هذا النص أن لبولس (شاول) سلطة تحوله تعذيب المسيحيين ، ووضع الخطط مع رئيس الكهنة اليهود للقضاء عليهم ، وقد يكون دخوله في المسيحية جزء من المكر اليهودي المخطط له في مجالسهم الخاصة للعبث بهذه الديانة التوحيدية ، وتحريفها ، وهذا ما حصل ونجح فيه بولس (شاول) النجاح العجيب .

^١ (وهذه القصة وردت في سفر ((أعمال الرسل)) ، في ثلاث مواضع منه ، وهي كالتالي :

الرواية الأولى : ((أما شاول فكان لا يزال يقول بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب . فذهب إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء ، حيثما يجدهم ، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم . وفيما هو منطلق إلى دمشق ، وقد اقترب منها ، لمع حوله فجأة نور من السماء ، فوقع إلى الأرض وسمع صوتاً يقول له : «شاول! شاول! لماذا تضطهدني؟» فسأل : «من أنت يا سيد؟» فجاءه الجواب : «أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس المناحس» . فقال وهو مرتعد ومتحير : «يارب! ماذا تريد أن أفعل؟» فقال له الرب : «قم ، وادخل المدينة فيقال لك ما يجب أن تفعله» . وأما مرفقو شاول فوقفوا مذهولين لا يتطقون ، فقد سمعوا الصوت وكفهم لم يروا أحداً . وعندما نهض شاول عن الأرض ، فتح عينيه فوجد أنه لا يبصر ، فافتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق ، حيث بقي ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب)) ، أعمال الرسل ٩ : ١ - ٩ .

الرواية الثانية : ((...فاضطهدت هذا الطريق حتى الموت ، فكنت أعتقل أتباعه من الرجال والنساء ، وأزج بهم في السجون . ويشهد رئيس الكهنة ومجلس الشيوخ على صدق كلامي هذا . فقد أخذت منهم رسائل إلى إخوانهم في دمشق ليعاونوني في القبض على الذين هناك ، لأسوقهم إلى أورشليم فينالوا عقابهم . وكما وصلت إلى مصرية من دمشق ، وكان الوقت نحو الظهر ، أضاء حوالي فجأة نور باهر ، ف وقعت على الأرض ، وسمعت صوتاً يقول لي : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدني؟ فأجبت : من أنت يا سيد؟ فقال : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . وقد رأى مرفقي النور ، وكفهم لم يسمعوا صوت مخاطبي . فسألت : ماذا أفعل يارب؟ فأجابني الرب : قم وادخل دمشق ، وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تفعله . وافتادني مرفقي بيدي حتى أوصلوني إلى دمشق ، لأنني لم أكن أبصر بسبب شدة ذلك النور الباهر)) أعمال الرسل ٢٢ : ٤ - ١١ .

الرواية الثالثة : ((وتوجهت إلى مدينة دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة ، فرأيت ، أيها الملك ، على الطريق عند الظهر نوراً يفوق نور الشمس يسطع حوالي وحول مرفقي ، فسقطنا كلنا على الأرض . وسمعت صوتاً يُناديني باللغة العبرية قائلاً : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدني؟ يصعب عليك أن ترفس المناحس . فسألت : من أنت يا سيد؟ فأجاب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده . انهض وقف على قدميك ، فقد ظهرت لك لأعينك خادماً لسي وشاهداً بهذه الرؤيا التي تراني فيها الآن ، وبالرؤى التي ستراني فيها بعد اليوم . وسأنتدك من شعبك ومن الأمم التي أرسلت إليها الآن ، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من الظلام إلى النور ، ومن سيطرة الشيطان إلى الله ، فينالوا =

ولقد أكدت المصادر أن بولس لم يكن تلميذاً من تلاميذ المسيح، فلم يلتق به مدة حياته، ولم يتلمذ على يديه، ولم يلتق منه أي تعاليم. هذا إلى جانب أنه لم يلتق بأي تلميذ من تلاميذ المسيح في فترته التبشيرية الأولى والذي كانت مدتها ثلاث سنوات، بزعم أنه تلقى تعليمه من المسيح عيسى مباشرةً في تلك الرؤيا المزعومة^١. ولذلك ومنذ أن ادعى بولس دخوله في الدين الجديد وإيمانه بالمسيح انقلبت موازين هذه الديانة وتغيرت أحوالها وأخذت صورة جديدة دعت فيها إلى عقائد وتعاليم ومفاهيم

=عُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيحًا بَيْنَ الَّذِينَ تَقَدَّسُوا بِالْإِيمَانِ بِي ((أعمال الرسل ٢٦ : ١٢ - ١٨ .

ومن هذا التناقض في هذه الروايات الثلاث، أن المسافرين مع بولس في الرواية الأولى قد سمعوا الصوت ولم ينظروا أحداً، إلا أنهم في الرواية الثانية نظروا النور ولكنهم لم يسمعوا الصوت، وفي الرواية الثالثة نجد أن المسافرين معه قد رأوا النور، ولم تُبين أنهم قد سمعوا معه صوتاً أم لا، إلا أن الرواية ذكرت أنهم سقطوا جميعاً مع بولس على الأرض، وذلك بخلاف الرواية الأولى التي فيها أنهم وقفوا صامتين، وخلافاً لما يُفهم من مضمون الرواية الثانية

وأيضاً أن بولس ذكر في الروايتين الأولى والثانية أن المسيح عيسى أمره بالذهاب إلى دمشق لتلقي الرسالة، وفي الرواية الثالثة، أن المسيح أعطاه الرسالة فوراً مع الوعد بإنقاذه من اليهود والأمم الأخرى. وهذه الروايات المختلفة فيما بينها تتكلم عن حادثة واحدة وقعت مرة واحدة فقط، فيكيف يحصل هذا الاختلاف الشديد في مسألة يستدل بها النصارى على صدق دخول (بولس) شاول اليهودي في دينهم، فهذا من الأمر العجيب، وقد قال العلماء: ((أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال)) .

١ (جاء في قول بولس لأهل غلاطية: ((مِنْ بُولُسَ، وَهُوَ رَسُولٌ لَا مِنْ قَبْلِ النَّاسِ وَلَا بِسُلْطَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ بِسُلْطَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللَّهِ الْآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ ... وَلَكِنْ، لَمَّا سَرَّ اللَّهُ، الَّذِي كَانَ قَدْ أَفْرَزَنِي وَأَنَا فِي بَطْنِ أُمِّي ثُمَّ دَعَانِي بِنِعْمَتِهِ، أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، فِي الْحَالِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَمًا، وَلَا صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَقَابِلَ الَّذِينَ كَانُوا رَسُولًا مِنْ قَبْلِي، بَلْ انْطَلَقْتُ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعْتُ إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، لِأَتَعْرِفَ بِيَطْرُسَ. وَقَدْ أَقَمْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَلَكِنِّي لَمْ أَقَابِلْ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ، أَخَا الرَّبِّ إِنَّ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ هُنَا، وَهَا أَنَا أَمَامَ اللَّهِ، لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ)) . غلاطية ١:

١، ١ : ١٥ - ٢٠ .

وبعد هذه المدة البسيطة التي مكث فيها بولس عند بطرس (خمسة عشر يوماً)، انطلق ولمدة أربعة عشر سنة (غلاطية ٢ : ١) يدعو فيها بتعاليم لم يستقيها، ولم يتعلمها من المسيح عيسى، حيث أنه لم يره، ولا من حوارى المسيح أو من تلاميذه، وإنما أخذها بزعمه عن طريق الرؤيا التي أراها في الطريق، وفيه سلّمه المسيح في المنام كل التعاليم التي يدعوا إليه الآن، فسلّسه مختصرة إلى المسيح عن طريق المنام، ولفترة بسيطة علّمه المسيح كل التعاليم، سبحانه هذا هتان عظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرد أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد .

جديدة

يقول (ويلز): ((كان القديس بولس من أعظم من انشأوا المسيحية الحديثة ، وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يُبشِّرُ الناس ، أوتي عقلية عظيمة ، وكان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من الأفكار))^١ .

ويقول (بيرى) : ((لقد كوّن شاول المسيحية على حساب عيسى ، فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية ... وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليحذب إليه العامة منهم ، وأدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليحذب إليه أتباعاً من اليونان ، فعيسى أصبح ابن الله ، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا (حودس) و (أوزيوس) ووضعتا في كل الكنائس))^٢ .

ومن الأشياء التي ابتدعها بولس، وحوّلت الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام إلى ديانة مختلفة تماماً عنها، مما جعل كثير من الباحثين والمؤرخين يسمونها الديانة البوليسية:-
فمثلاً ، قضية أن عيسى ابن الله ، جاء ليفدي البشرية من الخطيئة الموروثة من آدم — عليه السلام — . فصلب عيسى لأجل فداء وخلص البشرية .

يقول ول ديورانت : ((ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، أما هذه الأسس فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء يُنجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته))^٣ .

ويقول أيضاً : ((وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس ، من ذلك قول بولس إن المسيح هو (حكمة الله) و (ابن الله الأول) (بكر كل خليقة)، (فإنه فيه خلق الكل) (الكل به وله قد خلق)، (الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل) ، وقد استطاع بولس بهذه التفسيرات كلها أن يغض النظر عن حياة يسوع، وعن أقواله التي لم يسمعها منه مباشرة، واستطاع بذلك أن يقف على قدم

^١ (في كتابه (مختصر تاريخ العالم) نقلاً عن الإسلام والفلسفات القديمة ، ص ١٨٢ ، أنور الجندي .

^٢ (في كتابه (الأديان العالمية) ، المرجع السابق ، ص ١٨١ ، أنور الجندي .

^٣ (قصة الحضارات ، ١١ / ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ول ديورانت .

المساواة مع الرسل الأولين ، الذين لم يكونوا يجارونه في آرائه الميتافيزيقية))^١ .
ومن ذلك أيضاً، قوله أن عيسى مات، وقتل على الصليب من أجل فداء البشر،
وخلاصهم، وأن موته ((تضحية تكفيرية))، ولا شك في أن أتباع عيسى عليه السلام
كانوا في حيرة من أمرهم كيف يُصلب رسولهم ومُعلمهم ، وقد جاء في التوراة أن
المصلوب ملعون^٢ ، وهنا برز دور بولس — المُحرّف اليهودي —، الذي ذكر لهم أن
عيسى لم يكن موته على الصليب لعنة إلاّ لأجل التكفير عن خطايانا^٣ ، فعجيب أمر هذا
الرجل في تلاعبه بدين أتباع عيسى ، والأعجب منه ، عقليات بعض من يدّعي أنّهم
يتبعون عيسى عليه السلام ، في إيمانهم بكلّ ناعق يحرف دينه الحق .

ومن بدع بولس في الطقوس التشريعية طقس القربان المقدس ((العشاء الربّاني —
الافخارستيا)) ، وقد اشتقه من قصة العشاء الأخير لعيسى مع حواريه .
((تخيّل بولس أن عيسى المسيح، عندما استسلم سلفاً للصليب الذي كان يتوقعه! أمر
صحابته أن يأكلوا من لحمه ويشربوا من دمه، رمزياً، و يجدر الذكرى بهذا المقام أن شرب
الدم كان من طقوس العبادات الهلنستية^٤ الغامضة التي ترمز إلى قهر الموت))^٥ .
كما أن لبولس آراء في الزواج والمرأة لم يعرفها عيسى — عليه السلام — مطلقاً ،
أصبحت من أساسيات النصرانية^٦ .

^١ (المرجع السابق ٢٦٥/١١ ، ول ديورانت ، ولهذا كان ديورانت يسمي بولس ((واضع اللاهوت المسيحي))
٢٤٩ / ١١ .

^٢ (تثنية ٢١ : ٢٣ ، ((لأنّ المعلق ملعون من الله)) .

^٣ (غلاطية ٣ : ١٣ ((إنّ المسيح حرّرنا بالفداء من لعنة الشريعة، إذ صار لعنة عوضاً عنا، لأنه قد كتب: «مَلْعُونٌ
كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ»))

^٤ (الهلنستية : أفكار ومعتقدات إغريقية ، استقاها الإغريق من الديانات الشرقية المختلفة الغنية بطقوسها وشعائرها
ومعتقداتها الغيبية الغريبة ، انظر : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٠٠ — ١٠٢ ، د. فيليب حتى .

^٥ (المسيحية والإسلام والاستشراق ، ص ١٤١ ، محمد فاروق الزين .

^٦ (جاء في رسالته إلى كورنتوس الأولى ٧ : ١ — ٢ : ((وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسب للرجل
أن لا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها)) . فقوله (ألا يمس) فيه
تفجير شديد من الزواج ولم يأذن به إلا للضرورة الملحة وهي الخوف من الوقوع في الزنا، وقد أغفل الغاية العليا =

كما أن بولس كان أول من نادى بإلغاء الختان وحصل له ما أراد في مجمع أورشليم وبين وسط تلاميذ المسيح^١.

ومن أقواله في ذلك: ((ها أنا بولس أقول لكم: إن خُتِثْتُمْ، لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً))^٢. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل عمل على إلغاء الناموس ((العمل بالشرية)) وقد تدرج بولس في إلغاءه الناموس والتخلي عن ما تأمر به الشريعة.

ففي بداية دعوته دعى بولس إلى أهمية العمل بالشرية، فمن أقواله في ذلك: ((فَلَيْسَ سَامِعُو الشَّرِيعَةَ هُمْ الْأَبْرَارُ أَمَامَ اللَّهِ؛ بَلِ الْعَامِلُونَ بِالشَّرِيعَةِ يُرَرُونَ))^٣، وأيضاً قوله: ((هَلْ نَحْنُ نُبْطِلُ الشَّرِيعَةَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا، بَلْ إِنَّا بِهِ نُنْبِتُ الشَّرِيعَةَ))^٤.

ثم انتقل بولس إلى المرحلة الثانية من إلغاء تطبيق شريعة التوراة، وهي بداية التشكيك، فقال في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: ((إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَيِّدَةٌ فِي ذَاتِهَا، إِذَا اسْتُعْمِلَتْ اسْتِعْمَالاً شَرْعِيًّا))^٥.

ثم انتقل إلى مرحلة ثالثة، وهي مناداته بأن الإيمان بالمسيح يعادل العمل بالشرية فقال: ((أَمَّا الْآنَ، فَقَدْ أُعْلِنَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللَّهُ، مُسْتَقِلًّا عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَمَشْهُودًا لَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، ذَلِكَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللَّهُ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. إِذْ لَا فَرْقَ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ أَخْطَأُوا وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ بُلُوغِ مَا يُمَجِّدُ اللَّهُ))^٦.

=للزواج وهي النسل، أنظر: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام (دراسة مقارنة) ١٦٩/١ - ١٧٠. د. محمود عبدالسميع شعلان.

أما موقفه من المرأة فهو يقول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١٤ - ١٥: ((وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي ولكنها ستخلص بولادة الأولاد أن تثبت في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل))، فهنا بولس يقرر أنه ليس للمرأة الخلاص إلا عن طريق الإنجاب، وهذا ما لم يقله عيسى - عليه السلام - أبداً، انظر: الخديعة الكبرى، د. روبرت كيل تسلي، ترجمة علاء أبو بكر، ص ٣، من الفصل الأول.

^١ انظر ذلك في صفحات قليلة مضت، عن أثر مجمع أورشليم الأول في بدايات تحريف المسيحية.

^٢ (غلاطية ٥ : ٢ .

^٣ (رومية ٢ : ١٣ .

^٤ (رومية ٣ : ٣١ .

^٥ (تيموثاوس الأولى ١ : ٨ .

^٦ (رومية ٣ : ٢١ - ٢٣ .

ثم انتقل إلى مرحلة رابعة أكد فيها كفاية الإيمان بالمسيح (فادياً) ، وعدم لزوم العمل بالشرعية (التأموس) ، فقال : ((مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا، بِنِعْمَتِهِ، بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً، بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ لِإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لِيَكُونَ بَارًّا وَيُتَبَرَّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ . فَأَيْنَ الْإِفْتِخَارُ؟ قَدْ انْتَفَى بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَيْنَامُوسِ الْأَعْمَالِ ، كَلًّا ، بَلْ بِنَامُوسِ الْإِيمَانِ، إِذَا نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ بَدُونَ أَعْمَالِ التَّامُوسِ))^١.

وفي هذه المرحلة لا شك أنه انحراف كبيراً عما قرره في بداية دعوته في أن الإيمان يُثبِتُ العمل بالشرعية ، فلا يصلح إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بإيمان .

ثم انتقل إلى مرحلة خامسة ، وفيها يُقرَّرُ أن تطبيق الشريعة لا يفيد الإنسان . فإنه لا يتبرر بأعمالها . فقال : ((إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ التَّامُوسِ بَلْ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَمَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ، لِنَتَبَرَّرَ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ التَّامُوسِ، لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ التَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدًا))^٢.

ثم ذكر في مرحلة سادسة أنه إذا كان التبرر بأعمال الشريعة فلا فائدة إذاً من المسيح ومن صلبه فداء : ((الْإِلَهُ إِنْ كَانَ بِالتَّامُوسِ بَرًّا فَالْمَسِيحُ إِذَا مَاتَ بِلَا سَبَبٍ))^٣ ، وقال أيضاً : ((قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالتَّامُوسِ سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ فَإِنَّا بِالرُّوحِ مِنَ الْإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بَرٍّ))^٤.

ثم في المرحلة الأخيرة قرَّرَ إبطال العمل بالشرعية وأدعى أن المسيح هو من قد أبطل شريعة الوصايا بتقديم نفسه للصلب، فقال : ((مُبْطَلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ))^٥ . يقول المفسر النصراني (وليم باركلي) في تفسيره لهذه الفقرة — مؤيداً لتحريف بولس، وإلغائه العمل بالشرعية — : ((وَأَنَّ دِيانَةَ تَوْسُسِ عَلَى كَأَفَّةِ أَنْوَاعِ الْقَوَاعِدِ وَالْقَوَانِينِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِبَعْضِ الْمَمَارَسَاتِ وَبَعْضِ الْعَادَاتِ وَالْفَرَائِضِ وَالذَّبَائِحِ وَالْأَيَامِ ، لَا يُمْكِنُ

^١ رومية ٣ : ٢٤ - ٢٨ .

^٢ غلاطية ٢ : ١٦ .

^٣ غلاطية ٢ : ٢١ .

^٤ غلاطية ٥ : ٤ - ٥ .

^٥ أفسس ٢ : ١٥ .

أن تُصبح ديانة عامة للجميع. كما قال بولس الرسول: ((لأنه غاية الناموس هي المسيح)) (رومية ١٠ : ٤) ، وكما يقول هنا : ((أبطل المسيح ناموس الوصايا بكل فرائضه)) لقد أهدى المسيح الفكرة الناموسية كمبدأ ديني . ولكن ماذا وضع في مكانها يا ترى ؟ لقد أحل الحب لله والحب للبشر محل الأفكار الناموسية . لقد جاء المسيح ليقول للبشر أنهم لا يستطيعون أن يحصلوا على رضا الله عن طريق حفظ فرائض الناموس ، ولكنما يجب عليهم أن يقبلوا حب الله وغفرانه وشركته التي يقدمها لهم مجاناً في رحمته . وأن ديانة تتأسس على المحبة لتصلح في الحال لأن تكون ديانة للجميع ... إن القواعد والفرائض تضع الحواجز ، إلا أن المحبة تزيلها^١ .

لذلك ، وبعد هذا العرض المختصر لدور بولس ، يُمكن الجزم أن هذا التحريف الشديد الذي حصل في الديانة المسيحية ، والتي جاء بها عيسى عليه السلام ، كان من مكر بولس (شاول اليهودي) ، وتخطيطه ، فهو الذي أرسى قواعد الديانة النصرانية الجديدة، والتي ظهرت بعد رفع عيسى عليه السلام بسنين معدودة ، فخالفت تماماً ما جاء به عيسى عليه السلام .

^١ (تفسير العهد الجديد ، رسالتا غلاطية وأفسس ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ولیم باركلي .

القسم الثاني : الاضطهادات الرومانية .

حصل لأتباع ومعتقي النصرانية من الاضطهاد والتعذيب ما يحصل لأي جماعة تدعو إلى دين جديد وأفكار جديدة مختلفة لما يألفه محيطها التي نشأت فيه .
وقد نال نصارى فلسطين الحظ الأوفر من هذه الاضطهادات لوجودهم بين عدوين لدودين ، هما : الرومان واليهود .

فاليهود أصيبوا بجحمة أمل بالغة عندما جاءهم عيسى بن مريم يزّين لهم ملكوت السموات ويعدّهم وعداً حسناً في الدار الآخرة ، ويُحَقِّرُ لهم أمر الدنيا ، وما فيها من متاع زائل ، وهذا مخالف لما تربوا عليه بعد تحريفهم لديانة موسى — عليه السلام — ، فأدرك رجال السطوة والنفوذ فيهم ، ومنهم أعضاء مجلس السنهدرين اليهودي أن مكانتهم إلى نهاية ، وأن نفوذهم سيضيع ، فكفروا بعيسى وبما جاءهم به ، ونالوا منه ومن دعوته وأتباعه ، وراحوا يؤلّبون عليهم شعب الرومان والحكومة ، فلقى بذلك النصارى من اليهود عنتاً كبيراً .

ولا شك أن أكبر ضحية لهذا الاضطهاد المبكر ، هو عيسى — عليه السلام — ، ودعوته التوحيدية .

ولكن النصارى لم يستكينوا لهذه الاضطهادات المبكرة في تاريخهم فبدؤوا ينشرون دينهم خارج فلسطين فقامت طوائف نصرانية في أماكن عديدة ، حتى وصلت الدعوة النصرانية إلى عاصمة الإمبراطورية ذاتها في (روما) .

وهنا أدركت الإمبراطورية الرومانية أنها أمام فرقة دينية ليست كاليهودية متوقعة على ذاتها وإنما أمام فرقة جديدة لها طموح التوسع والانتشار^٢ ، خاصة أن الإمبراطورية

^١ (مجلس السنهدرين اليهودي : هو المجلس الأعظم المكون من كبراء إسرائيل ، ويظن أنه نشأ أثناء حكم السلوقيين (حوالي عام ٢٠٠ ق.م) وكان الحاكم الأعظم هو الذي يختار في بادئ الأمر أعضاء المجلس من بين طبقة الأشراف الكهنوت، ويضم المجلس واحداً وسبعين عضواً يدعون لأنفسهم السلطة العليا على جميع اليهود أياً كان موطنهم ، وكان اليهود المستمسكون بدينهم في كل مكان يعترفون بهذه السلطة . أنظر : الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني (الوثنية المسيحية) ص ٢٩ ، د . رأفت عبد الحميد .

^٢ (أنظر : موجز تاريخ المسيحية ، ص ١٤١ ، للأبناء ديوسقورس ، تاريخ الحضارات ٤٢١/٢ ، إشراف : موريس كروزية ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص ٥٣ ، د . سعيد عبدالفتاح عاشور .

كانت تعتبر هذه الجماعة فرقة منفصلة عن اليهودية في بادئ الأمر فلم تعرها انتباهاً في بداية أمرها^١.

وقد ذهب المؤرخون إلى أن أسباب هذه الاضطهادات التي وقع فيها النصارى لعله يكون :

(١) رفض النصارى لأهم المبادئ التي قامت عليها الدولة الرومانية ، وهي تقديس الإمبراطور وتأليهه ، وتقديم القرابين لتمثاله ، وحرق البخور أمامه في المناسبات العامة . ويعتبر الرومان (شعب وحكومة) أن هذه الطقوس دليل على الولاء والطاعة وصدق الوطنية^٢.

يقول الأسقف و . ر . إنج : ((... إن عبادة (روما وأغسطس) التي قامت في كل مكان تقريباً ، وخاصة في آسيا ، حيث كان المسيحيون أقوى منهم في أي مكان آخر ، سهّلت إثبات تهمة عدم الولاء بالنسبة للمسيحيين ، وذلك بأن يُطلب إليهم تقديم فروض العبادة للإمبراطور أو (روحه الحارسة) . وكانت هذه في الواقع هي الطريقة التي أعدم بها أكثر الشهداء))^٣.

وقد يكون أن هذه الأعمال التي رفض النصارى القيام بها لإجلال الإمبراطورية ، قد فسّرت أنها منهم تقويضاً لقواعد الوحدة الإمبراطورية وتمرداً على النظم السائدة . ولذا اعتبروا خطراً عاماً على سلامة الدولة وحق بهم الاضطهاد من كل جانب^٤ ، خاصة أن الشعب الروماني كان يرى أن الدولة وسلامتها والإمبراطور هي أساس حضارتهم ، يقول

^١ (تاريخ الحضارات العام ٤٢٠/٢ ، كروزيه ، الدولة والكنيسة ٣٧ / ٢ ، رأفت عبد الحميد ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص ٥٣ ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور .

^٢ (الدولة والكنيسة ٣٢/٢ ، د. رأفت عبد الحميد ، موجز تاريخ المسيحية ، ص ١٤١ ، للأبنا ديوسقوروس ، تاريخ المسيحية ، ص ٥٣ بقلم حبيب سعيد ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ٢٩٢/١ ، إدوارد جيون ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٢٨ ، د. السيد الباز العريبي ، أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ص ٥٢ د. سعيد عاشور ، تاريخ الحضارات العام ٤٢٢/٢ (روما وإمبراطوريتها) إشراف : موريس كروزيه .

^٣ (الأسقف و . ر . إنج رئيس كاتدرائية القديس بولس بلندن ، ومؤلف كتاب (فلسفة أفلوطين) وغيره . أنظر : تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، ص ١٨٠ ، نشره : السير جون . ١ . هامرتن .

^٤ (تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ص ٦٨ ، د. نور الدين حاطوم .

ول ديورانت : ((فالروماني كان ينظر إلى دينه على أنه جزء من كيان الحكومة وشعائرها وكانت الوطنية هي الذروة التي تنتهي عندها مبادئه الأخلاقية العليا . أما المسيحي فكان ينظر إلى دينه على أنه شيء منفصل عن المجتمع السياسي))^١ .

(٢) امتناع النصارى للالتحاق بالخدمة العسكرية ، ومن ثم عدم دفاعهم عن الإمبراطورية الرومانية في وجه أعدائها^٢ .

(٣) رفض النصارى لتولي المناصب العامة في الحكومة الرومانية فعُدَّ ذلك تهرباً من تحمل مسؤوليات المجتمع الذي يحتويهم^٣ .

(٤) كما أن انتشار اجتماعات النصارى السريّة والليلية الخفية مع بعضهم البعض، مما زاد الطين بله، وزادت حدة الريبة والقلق لدى الحكومة الرومانية من هذه الفئة . يقول إدوارد جيبون : ((إن السياسة الرومانية كانت تنظر بأشد القلق والريبة إلى أية رابطة تقوى وسط رعاياها ، وكانت الامتيازات تمنح للهيئات الخاصة في أضيق الحدود ، وفي تقدير شديد رغم أن الهيئات كانت ذات أهداف خيرة بعيدة عن الأذى والضرر. ولكن الجمعيات المسيحية التي انفصلت عن العبادة العامة الشائعة بدت ذات طبيعة أقل براءة . فقد كانت غير مشروعة من حيث المبدأ ، وربما باتت خطيرة من حيث العواقب ، ولم ير الأباطرة أنهم انتهكوا حرمة قوانين العدالة حين حرّموا — حرصاً على سلامة المجتمع — هذه الاجتماعات السريّة والليلية))^٤ .

^١ قصة الحضارة ، ٣٧١/١١ - ٣٧٢ ، ول ديورانت .

^٢ تاريخ الحضارات العام ٤٢٢/٢ (روما وإمبراطوريتها) إشراف : موريس كروزية ، الدولة والكنيسة ٣٦/٢ ، د. رأفت عبد الحميد ، قصة الحضارة ٣٧٢/١١ ، ٣٧٧ ، ول ديورانت .

^٣ الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني (الوثنية والمسيحية) ، ص ٣٦ ، الدكتور : رأفت عبد الحميد . وأنظر ، أيضاً إلى : تاريخ الحضارات العام ٤٢٢/٢ ، روما وإمبراطوريتها ، إشراف : موريس كروزية ، قصة الحضارة ٣٧٢/١١ ، ول ديورانت .

^٤ اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ٢٩٣/١ ، إدوارد جيبون .

٥) ثم أنه وبشكل عام ، فإنَّ النصارى لم يحترموا المجتمع الروماني ، ولا تقاليده الموروثة ، بل احتقروه ، وعزلوا أنفسهم عنه وعن أنشطته المختلفة ، فلم يشتركوا في حفلاته العامة ، ولم يقيموا مع هذا الشعب أعيادهم ^١ .

فحرمت الجماعات النصرانية أن يتزوج النصراني بغير النصرانية ، والنصرانية بغير النصراني . وكان النصارى يعرضون ما يقع بينهم من مشاكل قانونية على رؤساء كنائسهم لا على موظفي الدولة ^٢ .

حتى أن الذي يعتنق دين النصارى من الرومان يُؤمرُ بهجر عائلته وأقاربه ، وأن يشترك في وحدة جماعته الجديدة ^٣ ، فأثَّمت النصارى لذلك أنهم يعملون على تشتيت شمل الأسر وخراب البيوت وأنهم يبدون بذور الشقاق فيها ^٤ .

وعلى ما كان يُتهم به النصارى من التعالي والتكبر على بقية أفراد المجتمع، فقد كان النصارى يمتنعون عن تناول الطعام خارج دورهم، وكانوا يظهرن الشماتة إذا ما حلَّ بالإمبراطور مكروه، وما ادَّعوه من تنبؤات صريحة عن الكوارث والمحن التي تنتظر الإمبراطورية^٥، لذلك يقول المؤرخون أن معارضة النصرانية جاءت من قبل كثيرٍ من الشعب، فقد أهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الملحدن الذين يهينون آلهتهم الأخرقية^٦ .

ولهذا أخذت الحكومة الرومانية تنظم الاضطهادات ضد النصارى ، لأنهم يروهنم ففة تهدد أوضاع الإمبراطورية وسلامتها .

وكثير من المؤرخين يذكرون عادة أشهر عشرة اضطهادات ، بدايةً من عهد الإمبراطور نيرون سنة ٦٤م إلى إن اعتلى قسطنطين عرش الإمبراطورية ، وصدور مرسوم ميلان للتسامح الديني ومنع الاضطهادات سنة ٣١٣م .

^١ (قصة الحضارة ، ١١/٣٧٢ ، ول ديورانت ، الدولة والكنيسة ، ٢/٣٠ ، د. رأفت عبد الحميد .

^٢ (قصة الحضارة ١١/٣٧٢ ، ول ديورانت .

^٣ (الدولة والكنيسة ٢/٣٢ ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ١/٢٩٤ .

^٤ (قصة الحضارة ، ١١/٣٧٢ .

^٥ (الدولة والكنيسة ٢/٣٢ ، د. رأفت عبد الحميد .

^٦ (قصة الحضارة ، ١١/٣٧٢ .

ولقد جاءت هذه الاضطهادات عبر القرون الثلاثة على النحو التالي :

اضطهادات القرن الأول : في عهد الامبراطورين : نيرون (٥٤-٦٨م)
ودوميتانوس (٨١-٩٦م) .

اضطهادات القرن الثاني : في عهد الأباطرة : تراجان (٩٨-١١٧م) ، وهادريان (١١٧-١٣٨) ، وماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م) ، وسبتيوس سافيروس (١٩٤-٢١١م) .

اضطهادات القرن الثالث : في عهد الأباطرة : مكسيمينوس (٢٣٥-٢٣٨م) ،
ديسيوس (٢٤٩-٢٥١م) ، فاليريان (٢٥٣-٢٦٠م) ، دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) ^١ .

لم يشهد القرنان الأولان اضطهاداً شاملاً موجهاً ضد النصارى ، فبقيت محصورة في الزمان والمكان ، وكان أشدها ، ما حصل في عهد نيرون سنة ٦٤م ، نتيجة لحريق نشب في العاصمة روما ، أُتهم فيه النصارى ، فعذبوا لذلك ، وقيل أن بطرس وبولس ماتا في هذا الاضطهاد ، الذي لم يتعد العاصمة روما ، وقد عُرِفَ هذا الاضطهاد في تاريخ الكنيسة باسم " الاضطهاد الأول " ^٢ .

أمّا دوميتانوس فقد كان ثاني إمبراطور يتابع سياسة العنف على النصارى ، فقد تأثر إلى حد بعيد بالمرسوم الذي أصدره نيرون المتعلق بتعذيب النصارى ^٣ ، وكان من أسباب قوة الاضطهاد الثاني في تاريخ الكنيسة ، هو نفوذه إلى مناطق أخرى في الإمبراطورية ، فلم يقتصر على روما فقط ، و قد كان من أسباب هذا الاضطهاد أنه أُشيع في زمن هذا الإمبراطور (دوميتانوس) أن المسيح مزعم أن يعود إلى الأرض ويملك كل العالم ، فخاف

^١ (أنظر: موجز تاريخ المسيحية ، ص ١٤١، ١٤٣، ١٥٠ ، للأب ديسقورس ، تاريخ الكنيسة ، ١١٧/٢ ، جون لوريمر .

^٢ (دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ص ٥٨ ، بقلم الأب جان كمي . تاريخ العالم ، ١٧٨/٤ ، نشر : جون . ١ . هامرتن .

^٣ (تاريخ الحضارات العام ، ٤٢٢/٢ ، روما وإمبراطوريتها ، إشراف : موريس كروزية .